

شهرية تصدر عن الجمعية الوطنية الحجازية

العدد (111) 15/01/2012

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته سفر الخلود ومعهدُ الآثارِ

ما وراء تحالف نايف والوهابية؟

الوهابيّة مشروع أقليّة و(مطبّ) وطني

هـذا الـعـدد

الدولة الضبابيّة

دخلت مملكة آل سعود، بحق، مرحلة الريبة والحيرة أو ما يعرف بـ (uncertainty)، فلها في كل قضية موقفان متناقضان، ولها من كل تيار نظرتان، يحتمل أحدهما التأييد والآخر المعارضة. ولأن الربيع العربي فرض معادلة جديدة تقوم على أساس أن المتغيّر هو القانون والثابت هو الإستثناء، فإن أداء مملكة آل سعود مرتبط الى حد كبير بـ (ريتم) المعادلة هذه، خصوصاً مع الحديث عن دور جرى منحه لها إلى جانب تركيا لقيادة الثورة المضادة لعام ٢٠١٢، مع توقّعات باستمرار الخضّات الشعبية في الشرق الأوسط..

رفع آل سعود أيديهم من فلسطين ولبنان والعراق إضطراراً، وبصورة استثنائية، بانتظار وضوح الرؤية من الغرب (مصر على وجه التحديد)، ومن الجنوب (اليمن) التي لم تقدر المبادرة الخليجية على إخماد ثورتها رغم افتعال معارك جانبية بما فيها قضية (دمّاج) في محافظة صعدة، ومن الشرق، حيث مياه الخليج تزداد سخونة بفعل تصاعد درجة التوتر الأميركي الإيراني..

يدرك الأشقّاء في الخليج أن دعوة الملك عبد الله دول مجلس التعاون الخليجي للإنتقال من التعاون إلى الإتحاد هي بمثابة (فرقاعة إعلامية) أو (بضاعة ما قبل إغلاق السوق)، فلم يحمل أحد من قادة المجلس الدعوة على محمل الجد، ومع ذلك عكست الدعوة جانباً من الضبابية، تماماً كدعوة الأردن والمغرب للإنضمام للمجلس، دعوة يراد الآن مسحها من الذاكرة، والاكتفاء بالعلاقة التفضيلية مع الأردن، على غرار علاقة الأخيرة مع الاتحاد الأوروبي والولايات المتحدة.

ليس لدى آل سعود رؤية واضحة في السياسة الخارجية، ذاك أمر بات واضحاً، ولكن الأمر لم يعد مقتصراً على جانب في مملكة آل سعود، فأينما يمّمت وجهك ستجد تخبطاً غير مسبوق. ففي مقال نادر بعنوان (السلفية..هل هذا وقتها؟) للكاتب زياد الدريس نشر في جريدة (الحياة) التابعة لآل سعود بتاريخ ٤ يناير الجاري، عرض فيه لصورتين متقابلتين للمملكة السعودية: فمن جهة تطلق دعوة الى "إتحاد خليجي" يجمع على حد قوله (النفوذ السياسي المرتكز على القوة الإقتصادية في منظومة واحدة..)، ومن جهة أخرى هذه الدولة الكبيرة "تتصاغر حين تستجيب وتنغمس في تشظيات «الحزبية». ثم يستدرك "الحزبية تجعل الصغار كباراً، لكنها في المقابل تجعل الكبار صغاراً". ويسهب في شرح ذلك بمرارة أن الدعوة الى الارتقاء بمنظومة التعاون الخليجي نحو (إتحاد خليجي) يقابلها (الهبوط من دورها المركزي في رعاية الإسلام والدعوة إليه إلى رعاية «السلفية» والدعوة إلى «تبنّي إستراتيجية لنشر المنهج السلفي»). وعلّق على عنوان ندوة نايف في الرياض بعنوان (السلفية..منهج شرعي ومطلب وطني) بالقول (والصحيح أنها «مطبّ وطني» جعل الوطن أصغر بكثير مما هو في حقيقته). وفي الواقع أن الكاتب سخر بطريق غير مباشر من تغني الأمير نايف بسلفية الدولة السعودية، وقال: عليها أن (تكون في منأى عن أي تصنيف سوى تصنيف واحد فقط: الدولة الإسلامية الأم).

من نافلة القول أن هناك من يعتقد اليوم بأن النزوع السلفي لدى آل سعود ليس بسبب زيادة درجة الالتزام الديني، ولكن لأنهم يخشون من صعود التيارات السلفية في الخارج، والتي تتجه للإنخراط في السياسة كما في مصر، وتونس، وليبيا، والمغرب ما يضع التيار السلفي داخل المملكة في حرج بالغ، خصوصاً وأن هناك من مشايخ الصحوة مثل الشيخ سلمان العودة والشيخ الصحوي العائد بخجل بسبب وضعه الصحي الشيخ سفر الحوالي قد قدّم مراجعة عاجلة لبعض أفكاره في مفاهيم ديمقراطية مثل الإنتخابات، والاحزاب السياسية والبرلمان، وهو ما يجعل العائلة المالكة أمام تحديات متجدّدة كانت تعتقد بأنها تجاوزتها أو استوعبتها..

في الظاهر هناك منهجان متناقضان، منهج يقوده الملك عبد الله وهو من أصدر قرار مشاركة المرأة في مجالس البلدية والشورى في الدورة القادمة، وقرار تأنيث محلات (المستلزمات النسائية)، في مقابل منهج يقوده الأمير نايف يرفض حتى مجرد السماح للمرأة بقيادة السيارة..والحقيقة أن التيار الوهابي التقليدي لا يأتمر برأي أحد، بل هناك من يعتقد بأن تقويض السلفية التقليدية ستتم على يد نايف نفسه، الداعم الأكبر لها، بسبب وعد قطعه للأميركيين قبل المصادقة على ترشيحه لولاية العهد بأنهم غير راضين عن تضخم دور التيار الديني، ولابد من إتخاذ إجراءات لتقليص نفوذه من أجل تفادي إنقسامات مستقبلية خطيرة في الساحة المحلية، خصوصاً مع تزايد المطالب الشعبية بالإصلاحات الجوهرية.

عدم الإتساق في مواقف مملكة آل سعود، أي بمعنى آخر ضبابية الدولة، لا يعود لغياب الإنسجام في منهجي الملك وولي عهده، بل هذا يتفشى في كل شيء، ولا أحد يعلم كيف تسير الأمور، وكأن انفعالات اللحظة تلعب دوراً رئيساً في توجيه المواقف، الى درجة يخيل لمن يتابع الإضطراب في أداء الطبقة الحاكمة أن الحكمة آخر عنصر يمكن أن يتدخل في قراراتها.

أمثلة لا حصر لها يمكن أن ترد في هذا الصدد: الحملة الاعلامية الشرسة ضد بيان الاصلاحيين حول العقوبات المفروضة على أفراد ما يسمى (خلية الاستراحة)، وحوادث القطيف، ثم بيان الداخلية حول ٢٣ مطلوباً على خلفية التظاهرات في القطيف، وتالياً منع سفر الإصلاحيين ومن بينهم الرمز الإصلاحي محمد سعيد طيب، وحملات مداهمة البيوت في مناطق متفرقة من البلاد، والايغال في الإجراءات التعسفية والاستفزازية بهدف كسر إرادة التيار الإصلاحي الذي بات يستوعب شباب المملكة.. باختصار: قد تنتقل الدولة من الضبابية الى العمى!

ماوراء تغوّل الوهابية وتحالف نايف معها

فؤاد المشاط

قد يكون من سخرية القدر أن يأتي هلاك الدولة السعودية على يد الوهابية، أو أن تصبح أداة من أدوات إنهائها، أو الممهّد لنهايتها. وتكمن السخرية في حقيقة أن الوهابية ورموزها كانوا عنصراً أساسياً في بناء الدولة السعودية الحالية، وفي تشكيل هويتها، وفي إدارتها، وفي شرعنة الحكم القائم فيها؛ وفي الدفاع والحماية عن النظام السعودي ومصالح أهل نجد الذين ينتسب اليهم الوهابيون في السعودية.

عبثاً حاول حماة النظام الأميركيون، بعيد أحداث سبتمبر ٢٠٠١، الفات نظر العائلة المالكة، بل والضغط عليها بقدر ما، أن تفك عرى ارتباطها بالوهابية. وعبثاً يحاول كثير من الكتاب السعوديين إفهام العائلة المالكة بأن الوهابية لم تعد معوّقاً لنمو الدولة الطبيعي فحسب، بل أداة فعّالة في تقويض نظام الحكم؛ وأنها ليست فقط حاضنة للعنف ضد النظام، ومنها ظهرت القاعدة وعلى أفكارها تربت قياداتها، بل أن طغيان الوهابية ومشايخها جلب لنظام الحكم الكره والمعارضة من قبل المواطنين الآخرين والذين يمثلون الأكثرية في السعودية، باعتباره حامياً وراعياً لها.

لأن نظام العائلة المالكة لا يبحث عن شرعية موسّعة، فإنه اكتفى بشرعنة دينية/ وهابية ناقصة ومحصورة بالوهابيين في محيط نجد، وهي شرعية دينية منتقصة من الأطراف الأخرى التي تمثل أكثرية البلاد، والتي لا ترى في آل سعود، حكاماً شرعيين وفق الموازين الدينية/ الإسلامية، ولا ترى في سياساتهم ما له علاقة بنهج الإسلام وحكمه وعدالته، كما لا ترى في مسلكهم الشخصي مسلك المسلم العادي، بل هم الى مسلك الفراعنة والمفسدين والمجاهرين بالفسق والفجور والخيلاء والإثرة والبطر أقرب.

ولأن نظام العائلة المالكة لا يبحث عن إصلاح سياسي يمنع احتكار السلطة، ولا إلى إصلاح ديني يخفف من غلواء الوهابية في الداخل والخارج، فلا بد والحال هذه أن ترفض العائلة المالكة إعلان حالة الفكاك عن الوهابية.

بعد أن تزايد العنف ذو المنشأ الوهابي، ليس هناك ما يشير الى تغيير في تفكير العائلة المالكة. فالأخيرة لاتزال بحاجة الى مشايخ الوهابية لتغطية سوءتها وأفعالها وشرعنة نظام حكمها؛ وهي بحاجة اليها كأداة وميليشيا قامعة على الصعيد الإجتماعي؛ كما أنها بحاجة الى الوهابية في معاركها الخارجية، وهناك آمال من الأمراء لاتزال معلّقة عليها لتنجز شيئاً، في وقت تخسر فيه العائلة المالكة كل يوم أرضاً ونفوذاً لصالح دول إقليمية.

بين الحاجة للوهابية والخوف منها، تكمن مشكلة العائلة المالكة.

كيف يمكن لنظام لازال يعتقد ويعمل على الإفادة من عنف الوهابية في الخارج أن يتخلّى عنها في الداخل؟! بل كيف يضمن أن لا يتحول عنفها الى الداخل وهو يرى شررها قد استطال؟ وكيف يمكن لنايف وهو يستخدم الوهابية في مواجهة دعوات الإصلاح وخصوم العائلة المالكة المحليين، أن يزهد فيها؟

إن الزهد في الوهابية، من منظار ولي العهد نايف، يعني أموراً كثيرة:

١ ـ إنه يعني إعادة هيكلة السلطة، وهيكلة مشروعية نظام حكم العائلة المالكة. فإذا ما ابتعدت الوهابية عن النظام، فإنه بحاجة الى شيء آخر غير السيف ليبرر بقاء العائلة على رأس السلطة. وهذا يعني أن لا بديل عن القيام بإصلاحات سياسية ليست واردة في الوقت الحالي في أذهان أمراء آل سعود، خاصة نايف. ويعني الزهد في الوهابية الحدّ من حالات الفساد المستشرية في كل جوانب الحياة السياسية والإجتماعية، وهذا أمرٌ لا يستطيع الأمراء أو لا يريدون القيام به. ثم، في حال غابت الوهابية، أو أضعفت، هل سيمنح الشعب للعائلة المالكة شرعية الحكم، وعلى أيّ أساس؟

٢ ـ إنه يعني انفراجاً اجتماعياً، وتنفساً للهواء الطلق بعد اختناق، ويعني انطلاق الحياة على طبيعتها، بدون سلطة دينية تدعم الإستبداد السياسي لآل سعود. إذ لا مبرر للإستبداد حينها والتحجج بالوهابية وشيوخها. وحينها ستخرج الأحزاب، ومنظمات المجتمع المدني الى حيث النور والحريّة. وستتوسع حرية التعبير، وحالات الإنتقاد، والمطالب والدعوات الى العدالة الإجتماعية. فهل العائلة المالكة مهيّئة لمثل هذا؟!

٣ ـ وإنه يعني بأن العائلة المالكة وبعد أن تفقد عصفورها الوهابي الذي هو في اليد، أن عليها أن تبحث عن عصافير أخرى تنتظر على الشجرة، ليحلوا محلّها. وهذه العصافير لن تمنح النظام ولاءً بلا مقابل ولا تنازلات منه على الصعد السياسية والإقتصادية والإجتماعية، خاصة من تلك الفئات التي حرمت لعقود من حقوقها الأولية.

٤ ـ وإنه يعني بأن العائلة المالكة بحاجة الى إعادة إنتاج لسياستها الخارجية، بلا مؤامرات أو هدر للأموال على دول او جماعات او مقابل أسلحة وما أشبه. الوهابية لن تكون حينها أداة داعمة للسياسة الخارجية السعودية. ونفوذ الوهابية اذا ما تقلّص في الداخل، أو انتهى أو أضعف فإن مثيله سيحصل للدولة على الصعيد الخارجي، وهذا يعني أن تغييراً في الأدوات والإستراتيجيات لا بدّ أن يتم حتى يمكن تفادي الأضرار والبناء بشكل صحيح لسياسة خارجية مستقلّة.

بكلمة أخرى، فإن غياب الوهابية، أو انفكاك النظام عنها، ولو قليلاً، يعني تغييراً استراتيجياً في بنية الدولة وسياساتها المحليّة والخارجية.

هذا التغيير الراديكالي محفوف بالمخاطر، وغير مقبول حتى ولو كان غير خطير، كونه يبعثر سلطة العائلة المالكة، ويحدّ من استبدادها وفسادها واحتكارها. والأمراء ما تعودوا إلا أن يكونوا كالآلهة، يجري التسبيح بحمدهم ليل نهار. لا يقبل الأمراء اليوم أن يكونوا كأي حكام آخرين ـ حتى بالمقارنة مع حكام الخليج ـ فهم إن لم يكونوا آلهة فأنصاف آلهة تريد من الشعب أن يعبدها من دون الله.

وبناءً على حقيقة أن العائلة المالكة لن تفكر في الإنفكاك عن الوهابية، ولا في إضعافها الى حد إضعاف (الذات الأميرية او الملكية).. إذن كيف ستتعامل مخرجات العنف الوهابي مع النظام، وكيف سيكون وضع العائلة المالكة؟.

حسب التجربة التاريخية للعائلة المالكة، فإن العنف والخروج على النظام من قبل مخرجات الوهابية، آخذ بالإزدياد والحدّة معاً.

الفاصلة الزمنية بين ثورة الإخوان على مؤسس الدولة (١٩٢٨-١٩٣٠م) وبين ما تلاها من مخرج عنفي، كان أكثر من ثلاثة عقود. ففي منتصف الستينيات، ظهر منتج الوهابية العنفية من جديد، على شكل اشتباك بين قوى النظام الأمنية والمتشددين بشأن افتتاح اول محطة تلفزيون أسفرت عن جرحى واعتقالات وقتل لأحد الأمراء، وهو خالد بن مساعد بن عبدالعزيز آل سعود، ما ولّد بعد عشر سنوات، اغتيالاً للملك فيصل نفسه.

وبين حادثة الستينات وحادثة جهيمان، تقلّص الفرق في السنوات، الى أقل من عقدين من الزمن. حيث اضطرت العائلة المالكة الى تقليم أظافر المنتج الوهابي العنفي من جديد ونزع مخالبها، وجعلها سلسة الطاعة والإنقياد.

لكن ما لبث أن تقلّص الفارق الزمني مرّة أخرى في الحوادث التالية التي بدأت بعد احتلال الكويت عام ١٩٩١، على يد من سمّوا بالصحويين، أو شيوخ الصحوة، والتي بلغت الذروة فيها ما سمي بثورة بريدة، والإعتقالات التي سبقت وتلت تلك الحادثة.

ولم تمض سوى بضع سنوات حتى جاءت انفجارات العليا في الرياض المشهورة عام ١٩٩٥م.

وبعدها بعام جاء انفجار الخبر عام ١٩٩٦م، الذي حاولت العائلة المالكة ان تنسبه الى مواطنيها الشيعة ولازالت تعتقل عدداً منهم، في حين ان من وقف وراء ذلك هم منتجات الوهابية بعد حرب أفغانستان.

واستمر التدهور الأمني والخروج على النظام حتى قفز قفزة كبيرة بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١م، وتزايدت حدّة العنف داخل السعودية على شكل تفجيرات واغتيالات ـ كما للأمير محمد بن نايف، تقول الحكومة أنها حصدت نحو ٦٠٠ شخص، ولازال مسلسل العنف قائماً لم ينته بعد.

حاول النظام أن لا يقطع شعرة معاوية مع منتجات العنف الوهابي، وراح يفرّق ـ كما كانت طريقته القديمة ـ بين الوهابية التقليدية التي تنظر للتكفير والعنف ولكنها لا تستخدمه ضد النظام، وبين تلك التي تمارسه ضد الأمراء عبر القاعدة وغيرها.

ابتدع الأمير نايف هذه الطريقة معتقداً بصحّتها حتى الآن. فهو وإن رأى الضرب بيد من حديد على منتجات العنف الوهابية، فإنه زاد من تحالفه مع المصنع الفكري الذي خرّج جموع القتلة والإنتحاريين والمفتين بالعنف. حتى بات واضحاً وبصورة مضحكة، كيف أن وزير الداخلية، وولي العهد، والذي قتل وقبض على آلاف من البشر بدون محاكمات، هو نفسه الشخص الذي يحبّه الوهابيون التقليديون، ويرون فيه النموذج للحاكم الصالح، حتى أنهم أطلقوا عليه لقب (محيي السنّة)!

ولأن نايف لا يريد أن يضرب قاعدته الإجتماعية النجدية، صاغ برنامج المناصحة للمعتقلين العنفيين، وأطلق سراح الكثير منهم بعد أن أعلنوا توبتهم! وإذا ببعضهم على الأقل يعود الى العنف مرة أخرى، وبعضهم هاجر الى اليمن ليعلن عن تشكيل اتحاد تحت اسم قاعدة جزيرة العرب. وما عبدالله العسيري الذي حاول اغتيال نايف إلا منتجاً من منتجات برنامج المناصحة.

لقد ثبت أن العنف والوهابية لا ينفصمان. الفكر الوهابي يولّد العنف ويحضّ عليه. المشكلة أنه كان ـ ولصالح النظام ـ يطبّق على اعداء آل سعود، في معظم الحالات. إن تزايد حوادث العنف وتنوعها، واستمرارها لسنوات طويلة، يعني أن الوهابية تنطوي على عناصر عنف وخروج على النظام، وهذا الخروج أضعف بلا شك آل سعود، وهزّ أركانهم، بل أنه أفاد في توهينهم وتسقيطهم في أعين الناس.

وإذا لم تستطع مخرجات الوهابية من إسقاط النظام، فهي على الأقل قادرة على إضعافه، عبر الإغتيالات، والمصادمات، والتفجيرات. بهذا المعنى يمكن القول بأن الوهابية ـ وخلافاً لما يعتقده آل سعود ـ لا يمكن السيطرة عليها وعلى مخاطرها. ولم يبق إلا مراجعة ما إذا كانت مصلحة آل سعود تكمن في بقائها واستمرارها قوية، بأكثر من الخطر المحتمل منها، أم لا.

نحن نعتقد بأن الوهابية لا تخدم اليوم شرعية النظام، بل هي تشرعن العنف ضدّه. ونعتقد بأن الوهابية تحولت منذ زمن الى حاضنة للعنف والتشدد ضد المواطنين بحيث أن عداءهم لها تحوّل الى عداء للنظام السعودي نفسه.

وجود الوهابية قوية كما يفعل نايف الان، يعني توتيراً للداخل الإجتماعي، وزيادة في جرعات الكراهية والتكفير، وتفريخاً للعنف، وإضعافاً لهوية وطنيّة بالكاد لا تتمظهر إلا على خجل. ومن يدري، فقد تكون نهاية نظام آل سعود على يد الوهابيين أنفسهم، الذين سمّنهم آل سعود، وأغرقوهم بالفساد كما بالمال والإمتيازات.

المال السعودي منقذ صناعة السلاح الأميركي

هاشم عبد الستار

يقول العارفون أنه كلما إزدادت المداخيل المالية من بيع النفط كلما ازدادت وتيرة صفقات التسلّح وبأثمان عالية، وبطبيعة الحال سيصحب ذلك ويعقبه رشاوى فلكية. ولا علاقة للصفقات العسكرية بأوضاع أمنية أو جيوسياسية في المنطقة تدفع لهذا النوع من جنون التسلّح، فالأمر يتعلق بمعادلة بات الجميع يرددها: نحن ندفع بهذه الصفقات الجنونية ثمن حماية الولايات المتحدة للعرش السعودي من أموالنا ونفطنا. فقد أنفقت السعودية في الفترة ما بين ٢٠٠٧ ـ ٢٠١٠ ما يقرب من ١٣,٨ مليار دولار على الأسلحة الغربية، وبذلك تتصدر قائمة زبائن شركات التصنيع العسكري في العالم لأكثر من عقد.

أكّدت وحدة البحوث في الكونغرس الأميركي على أن مجلس التعاون الخليجي كان أكبر مشترٍ للأسلحة في العام ٢٠١٠. وفي تقرير أعدّه ريتشارد جريميت، جاء بأن السعودية تلقّت أسلحة تقدّر بـ ١,٢ مليار دولار من مزوّدين غربيين وأجانب في العام الماضي.

(المعلومات رسمية، وغير علنية، أرقام وزارة الدفاع الأميركية رصدت من قبل وكالة تعاون الأمن الدفاعي، ما لم يكن هناك مايشير الى غير ذلك)، حسب التقرير المعنون (مبيعات الأسلحة الأميركية: إتفاقيات مع إيصالات الى الزبائن الكبار، ٢٠٠٣-٢٠١٠) حسب قوله.

وحدة البحوث ذكرت بأن السعودية وقّعت أيضاً على صفقات الأسلحة الأكبر عدداً منذ ٢٠٠٧ ـ ٢٠١٠، بطلبات تقدّر بـ ١٣,٨ مليار دولار. يعقب الرياض، الإمارات العربية المتحدة بقيمة ١٠,٤ مليار دولار ومصر، بقيمة ٧,٨ مليار دولار.

مصر أيضاً جاءت في المرتبة الثانية في طلبات استلام الأسلحة على مستوى العالم في العام ٢٠١٠، بقيمة ٨٣٠ مليون دولار. جار مصر، أي الكيان الاسرائيلي، كان في المرتبة الخامسة على القائمة، بقيمة ٦٤٠ مليون دولار. كلا البلدين كانا المتلقّين القياديين للمساعدة العسكرية الأميركية.

لقد تمّ إعداد التقرير، المؤرّخ في ١٦ ديسمبر الماضي، من قبل أعضاء لجان الكونغرس. وذكرت وحدة البحوث في الكونغرس بأن السعودية ضاعفت من طلبات الأسلحة في العام ٢٠٠٧ بعد أن جاءت في المرتبة الثانية بعد مصر، بقيمة ٤,٥ مليار دولار، من ٢٠٠٣ وحتى ٢٠٠٦. في العام ٢٠١٠، وقّعت مصر إتفاقيات دفاعية بما قيمته ١,٨ مليار دولار.

وفي وقت لاحق، كتب جاسون يوكمان من صحيفة (واشنطن بوست) مقالة في ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) الماضي، بعنوان أن السعودية تبرم صفقة أسلحة بقيمة ٣٠ مليار دولار مع الولايات المتحدة (وهي بالمناسبة المرحلة الأولى وهناك مرحلة أخرى بنفس القيمة يفترض أن تتم قريباً وسيتم الأعلان عنها في حينه).

يقول يوكمان بأن إدارة أوباما أعلنت عن صفقة أسلحة مع السعودية بقيمة ٣٠ مليار دولار تقريباً، وهي صفقة ستقضي بإرسال ٨٤ طائرة حربية من طراز إف ١٥، وأسلحة متنوعة للمملكة السعودية.

وقد أخطرت الإدارة الأميركية الكونغرس العام الماضي عن نيتها بيع طائرات متقدّمة للسعودية، حليف الولايات المتحدة الرئيسي في الشرق الأوسط والحائط الاستراتيجي ضد إيران. الاتفاقية النهائية ـ التي سوف تشمل أيضاً تحديث ٧٠ طائرة موجودة لدى السعودية وكذلك ذخائر، وقطع غيار، وتدريب وصيانة ـ تأتي في وقت التوترات المتزايدة في منطقة الخليج.

> **السؤال الكبير الآن: لماذا يشتري آل سعود طائرات غير متطورة، بخلاف ما يشاع، وتأتي بعد عشرين سنة من صفقة مماثلة في عهد بوش الأب؟**

وقال أندرو شابيرو، مساعد الوزير للشؤون السياسية ـ العسكرية، للصحافيين بأن (هذه الصفقة سوف تبعث برسالة قوية الى البلدان في المنطقة التي تلتزم الولايات المتحدة بالحفاظ على استقرارها في الخليج والشرق الأوسط الكبير).

السعودية، التي لديها أغلبية سنيّة مهيمنة وإيران، الشيعية، قد نافست على النفوذ الإقليمي لعقود، وأن إدارة أوباما قد سعت لتعزيز العلاقات الأمنية مع الرياض، بالرغم من الإختلافات حيال رد الفعل إزاء الربيع العربي.

في غضون ذلك، فإن طهران قد انخرطت بصورة متزايدة في استعراض القوة العسكرية مع واشنطن. فقد هدّدت إيران بإغلاق مضيق هرمز الحيوي إستراتيجياً في حال فرض الغرب حظراً نفطياً على إيران. الأسطول الخامس للبحرية الأميركية، الذي يقع بالقرب من البحرين، ردّ بالتحذير ضد أي تشويش على حركة البواخر على طول الخط الملاحي الدولي.

وقال شابيرو (من الواضح، فإن واحدة من التهديدات التي تواجه السعوديين، وكذلك بلدان أخرى في المنطقة ـ هي إيران)، وأضاف (ولكن..ليس ذلك موجّه بمفرده إلى إيران. وإنما موجّه مباشرة الى تلبية الحاجات الدفاعية لشريكنا، السعودية).

إن الملاحظة الأولية لبيع الأسلحة الى السعودية، في العام ٢٠١٠، أثارت قلقاً حول الدلالات الأمنية بالنسبة لإسرائيل. وقد سعى مسؤولون أميركيون لتهدئة تلك المخاوف، وقالوا بأن الصفقة لن تخفّض من التفوّق العسكري لإسرائيل.

في الإعلان عن استكمال الصفقة، فإن البيت الأبيض يراعي المنافع المحلية، بالقول في بيان، بناء على خبراء الصناعة العسكرية، إنها (سوف تقدّم الدعم لأكثر من ٥٠ ألف وظيفة أميركية).

لفتت بوينغ، التي تنتج طائرات إف ١٥، الى أن لها تاريخاً طويلاً مع السعوديين، وقد أهدت طائرة دي سي ـ٣ داكوتا الى الملك عبد العزيز بن سعود، مؤسس المملكة، في العام ١٩٤٥.

ويبقى السؤال الدائم، ما الهدف من جنون التسلح، ولماذا يصبح الإعلان عن صفقات التسلّح مادة إثارة إعلامية، بحيث يتساءل المراقبون من غير المستفيدين من بيع أو شراء تلك الأسلحة، لمن يشتري آل سعود السلاح، وأين يتم تخزينه، ومتى سيصبح قابلاً للاستعمال، وضد من، وماهي قدرة المؤسسة العسكرية على هضم هذه الأسلحة.

والأخطر من ذلك، لماذا يتم شراء أسلحة غير متطورة، بخلاف ما يشاع عن كونها متقدّمة إن لم يكن الإدّعاء بأنها الأحدث في الصناعة العسكرية الأميركية. فقد أعلن الرئيس جورج بوش الأب في ١١ سبتمبر ١٩٩١ (ياللمفارقة؟) عن صفقة طائرات إف ـ١٥ مع السعودية بقيمة ٩ مليارات دولارات.

ليست الصفقات بأحجام صغيرة، فهي بالمليارات، وأن ما يشتريه آل سعود من سلاح، بما في ذلك الطائرات الحربية، هو نفسه ما اشتروه قبل عشرين عاماً، حين تم توقيع صفقة بقيمة ٩ مليارات دولارات، أي سنة ١٩٩٢، وكانت الفضيحة آنذاك أن القيمة الحقيقية للصفقة ٥ مليارات دولار بينما حجم العمولات قارب ٤ مليار دولار تحت عناوين مختلفة بما فيها الخدمات الأرضية. وقد كشف أحد موظفي الشركات الأميركية في مجال الصناعة العسكرية يدعى دولي عن أسرار خطيرة عبر دعوى قضائية قدّمت لمحكمة كولومبيا بولاية كولومبيا الأميركية في الرابع من أكتوبر سنة ١٩٩١. وشملت الدعوة أسراراً ومعلومات معقّدة عن الشركات الضالعة في فضائح الرشاوى والعمولات من بينها شركة سيكورسكي ايركرافت، وهي واحدة من صانعي طائرات الهليوكبتر التجارية والعسكرية في العالم (وقد نشرت مجلة الجزيرة العربية الناطقة باسم المعارضة السعودية في التسعينيات في عددها ٢٣ لشهر ديسمبر ١٩٩٢، نص الدعوى تحت عنوان (القصة الكاملة لعمولات صفقات التسلّح). ونسأل الآن: ماهو مصير الدعوى؟

ما يدهش حقاً أن ضخامة الأرقام في أثمان الأسلحة لا ينعكس عسكرياً في الداخل ولا في المنطقة، فمازالت مملكة آل سعود رهينة في أمنها واستقرارها ووجودها الى الحماية الأميركية، وأن صفقات التسلح الفلكية لا تعني في الميزان العسكري أي شيء، فقد بلغ حجم المشتريات العسكرية على مدى عقود ثلاثة ما يقرب من ٧٠٠ مليار دولار، ولكن ليس هناك ما يشير الى أن المملكة السعودية أصبحت قادرة بمفردها على حماية أمنها وحدودها، وإن السؤال الذي طرح عشية دخول قوات صدام حسين الى الكويت في الثاني من آب (أغسطس) ١٩٩٠ حيال مصير الأسلحة المكدّسة في مخازن الجيش السعودي، يعاد طرحه مجدداً وقت الإعلان عن صفقة جديدة.

الجديد في الصفقات الجديدة مع الولايات المتحدة أو مع بريطانيا أو ألمانيا هو غياب الإعتراض الإسرائيلي، وكأنما بات محسوماً الآن بالنسبة للإسرائيليين أن الأسلحة التي تشتريها السعودية ليست موجّهة ولن توجّه إلى الكيان الإسرائيلي في أي يوم. ورغم ذلك، فإن طبيعة الأسلحة التي تباع إلى المملكة السعودية من النوع القديم الذي فقد قدرته على (التخويف)، فطائرات إف ١٥ التي بيعت للسعودية في بداية التسعينيات نفسها تباع بعد عقدين إليها.. فماذا ستشكّل من خطر في مقابل باقي الـ (F's)، وكذا الحال بالنسبة لباقي الأسلحة (الخردة). وحتى الصفقة التي أعلن عنها العام ٢٠٠٨، بين الولايات المتحدة والسعودية بقيمة ٢٠ مليار دولار، واشتملت على طائرات مقاتلة متطوّرة وقنابل ذكية وسفن حربية وصواريخ من مختلف الأنواع، ولكنها في الحقيقة ضجّة أكثر من واقع. من اللافت، أن صفقة مع روسيّة بقيمة ٢,٢ مليار دولار جرى تمريرها وتشمل دبابات ومدرّعات وصواريخ أرض جو، ولكن ما كشف لاحقاً يلفت إلى جانب خفي وهي أن الصفقة لم تكن بهدف تعزيز القدرات العسكرية السعودية وإنما هي "رشوة" سعودية لروسيا لتبني سياسة متشدّدة مع طهران. وقد فعلت الرياض الشيء ذاته ولكن بأشكال مختلفة مع بكين وتفعل اليوم مع طوكيو لمواجهة المشروع النووي الإيراني.

نعم، جرى الحديث في فترة سابقة عن صفقة تاريخة بقيمة ٩٠ مليار دولار بين الرياض وواشنطن، وتستهدف تطوير الأسطول البحري السعودي، بعد أن كانت واشنطن قد تركت هذا الجانب من البناء العسكري السعودي للفرنسيين كإرضاء لهم في مقابل التعاون في ملفات المنطقة، في ظل تراجع الدور البريطاني، ولكن عادت واشنطن لتستأثر مجدداً بكل الكعكة العسكرية السعودية، وبإمكانها الإدعاء أن المناورات البحرية الإيرانية في الخليج وعلى مقربة من مضيق هرمز وفي ظل تهديدات إيرانية بإغلاقه أن الوقت بات مناسباً لتسريع وتيرة بناء الإسطول البحري السعودي.

ثمة جوانب مغفولة دون ريب في ظل حمى التسلّح، والسباق العسكري في المنطقة التي تجني الولايات المتحدة ثمارها من خلال إبقاء حالة التوتر في المنطقة. إن الاقبال غير المسبوق من قبل آل سعود على التسلّح المفرط، بينما تقاسي الغالبية العظمى من الشعب ويلات الفقر، والبطالة، وتردي الخدمات، فضلاً عن الإحساس المتعاظم بالخوف على الحاضر والمستقبل، في المقابل تتصرف العائلة المالكة وكأنها معنية بكسب رضا الحلفاء الكبار، الموكولين بحماية العرش، وبالتالي (شراء) مواقف سياسية مطلوبة في ظل تحولات كبرى تشهدها المنطقة، وإن تطلب ذلك إبرام صفقات بأثمان خيالية.

إن هذه المعادلة القائمة على أساس شراء الحماية مقابل الصفقات العسكرية باتت تثير سخط الشعب، لأنها تتم على حساب رفاههم، واحتياجاتهم الأساسية. ومن المفارقات المدهشة، أن كل المليارات التي تدفعها السعودية وغيرها من بلدان الخليج للولايات المتحدة وغيرها من بلدان الغرب إنما تستهدف في أحد أهم جوانبها مساعدة هذه البلدان على تجاوز أزماتها الاقتصادية

ما هو مصير الدعوى التي رفعها الجنرال دولي أمام محكمة كولومبيا في أكتوبر ١٩٩١ حول عمولات صفقات التسلّح بين الرياض وواشنطن؟

الخانقة التي تهدد حالياً بانهيارها الكامل، وبالتالي بانهيار ما يرتبط بها من أنظمة حليفة كالسعودية.

بطبيعة الحال، تبقى الذريعة الدائمة بالنسبة للسعودية في جنونها نحو عقد صفقات التسلّح الفلكية هي (الخطر الإيراني)، وهي نفس الذريعة التي تستخدمها الولايات المتحدة لإقناع الكونغرس والرأي العام الأميركي والعالمي، ولكن ما لا يراد البوح به هو حجم العمولات الهائلة التي يتقضاها أصحاب القرار في البلدان المستوردة على ما يبرمونه من صفقات السلاح.

الإحياء السلفي في السعودية

مشروعية أقلويّة و(مطب) وطني

عبدالحميد قدس

إلتزاماً بحقوق النشر والتأليف، نذكّر القارىء الكريم بان استعمال وصف (مطب وطني) للندوة التي رعاها وزير الداخلية وولي العهد الأمير نايف في الندوة التي أقيمت في الرياض حول السلفية في نهاية العام الماضي، هي من ابداعات زياد ادريس، في مقاله بعنوان (السلفية..هل هذا وقتها؟) الذي نشرته صحيفة (الحياة) في ٤ يناير الجاري.

ماالذي يرمي إليه وزير الداخلية الأمير نايف من إعادة إنتاج وترسيخ الأسس السلفية للدولة، في ظل الإنقسامات العميقة الاجتماعية والسياسية والإيديولوجية، وبالنظر الى حقيقة كون السلفيّة تمثّل أقلية عدّدية في هذا البلد، ما يجعل الدولة نفسها ذات طابع أقلوي.. هل ثمة خشية من أن الأسس الدينية التي قامت عليها الدولة السعودية قد تآكلت ما يتطلب مشروع انبعاث سلفي يعيد للدولة مشروعيتها وقاعدتها الإجتماعية النجدية التي تتعرض اليوم لانشطارات بنيوية إجتماعية وعقدية، وبالتالي قد تكون محاولة لإعادة بناء المشروعية الدينية التي تهدّمت منذ عقد، وصار الوسط الديني منقسماً حيال الأسس الدينية للدولة السعودية؟ أم هل يعني ذلك، على سبيل المثال، أن آل سعود باتوا على قناعة بأنّهم لم يعودوا يثقون بالأغلبية السكّانيّة ولا يعوّلون عليها، بل يرتابون في ما تنوي القيام به في ظل الظروف المتغيّرة؟ أم هناك أسباب أخرى، من قبيل أن الدولة تواجه أخطاراً خارجية من بينها التحدي القطري بانتزاع المبادرة السلفية وتطلّعها لأن تكون الدولة الراعية للسلفية الوهابية، أم أن الشحن السلفي يستهدف تأهيل شروط حرب طائفية قادمة كما تحذّر أطراف عدّة إقليمية ودولية؟.

في الشكل، جرى كلام طويل حول سر التركيز على السلفية دون باقي الموضوعات التي لا تقل أهميتها إن لم يكن يعلوها أهمية، وقد تساءل أحدهم مستنكراً: هل نظّمت جامعة الامام ندوة ولو لخمس دقائق عن حقوق الرعية على الراعي؟ وهل هنالك حلقة عقدت في شروط الإمامة؟ وعزل الإمام؟ وعقوبات الحاكم؟ "لماذا لم نسمع عن فقه "حقوق الرعية؟ " أم أنه من فقه الخوارج؟ أليس في التراث الإسلامي السلفي كلام حول "الإمام الجائ"؟ لماذا لا يتطرق له لا من بعيد ولا من قريب؟ أم أنه تراث النصارى واليهود وليس الاسلامي السلفي الوطني؟ وهل الأمراء ملاّك؟ أم أجراء للأمة؟.. لماذا لا يتحدث عن ابواب إصلاح الراعي في النهج السلفي الوطني؟

وفي المضمون يبدو التساؤل أكثر إلحاحاً..

في كلمة الأمير نايف الافتتاحية ندوة (السلفية منهج شرعي ومطلب وطني) التي أقيمت بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض في ٢٧ كانون الأول (ديسمبر) الماضي تأكيد بأن المملكة السعودية ستبقى (متبعة للمنهج السلفي القويم ولن تحيدَ أو تتنازل عنه). وبرر ذلك بأن (المنهج السلفي مصدر عز وتوفيق ورفعة للمملكة، كما أنه مصدر لرقيها وتقدمها..). وبصرف النظر عما إذا كانت السلفية مصدراً لرقي وتقدّم المملكة، وهو غير ثابت على الأقل في جوانبه السياسية والاجتماعية، إلا أن قوله بأن السلفية مصدر عز وتوفيق ورفعة المملكة يكشف عن رؤية داخلية للسلفية، أي كونها مصدر قوة السلطة السعودية وتماسكها.

ولأنه يستحضر ما يعنيه التأكيد على سلفية الدولة من عزل وإقصاء الأغلبية السكانية التي لا تنتمي الى هذا التوجّه، فإنه شدّد على أن المنهج السلفي يدعو (إلى التعايش السلمي مع الآخرين واحترام حقوقهم). ولكن في الوقت نفسه يدرك بأن هذا النهج موضوع خلافي، وأنه يريد استعماله أيضاً لأغراض خلافية بقوله (إن من يقدح في نهجها أو يثير الشبهات والتهم حوله..فهو جاهل يستوجب بيان الحقيقة له). وبصرف النظر عن صحة وسقم المنهج السلفي، فهو بالتأكيد ليس نهجاً توافقياً، ولا يمكن بحال أن يصبح مطلباً وطنياً، لأننا بذلك نفترض أن ثمة إجماعاً شعبياً عليه أو يحظى بدعم الأغلبية السكانية.

يتساءل أحدهم مستنكراً حول مفهوم السلفية الوطنية، بقوله لقد عرفنا أشكالاً عدّة للسلفية مثل السلفية الجامية، والسلفية الجهادية، والسلفية العلمية، ولكن لأول مرة نسمع أن هناك شكلاً للسلفية لم نطّلع عليه وهو السلفية الوطنية. ويعلّق السائل: طبعاً هذه طلعات جامعة الإمام التي يقال عنها: (too good to be true). ويستطرد في بيان الأشكال السلفية المتوقّعة مثل "السلفيّة السعوديّة" ويستدرك (لكأني بسلفيات إقليمية: سلفية قطرية، وسلفية مصرية، وسلفية ألمانية، وسلفية صينية).

واذا كانت السلفية دين وعقيدة فما ربطها بالوطن والوطنية، وهما مفهومان حديثان؟

المقاربات التي قدّمت على مدى يومين في ٩ جلسات وحضور أكثر من سبعمائة باحث من داخل المملكة وخارجها وتقدّمت خلالها مايربو عن مائة بحث وورقة عمل تصدر عن نزوع دفاعي بالدرجة الأساسية كما تلفت ابتداءً عناوين المحاور. ولكن ما هو مثير أن محوّراً رئيساً جرى التركيز عليه هو الدفاع عن منهج الدراسة الدينية.

في سياق المقاربة الدفاعية أو بالأحرى التبريرية، الموقف السلفي من المرأة، حيث بدا العنوان كما لو أنه رد على من يقول أن المنهج السلفي ظلم المرأة. وراح الدكتور ابراهيم السيف في ورقته (دعوى ظلم المنهج السلفي للمرأة) يسهب في قراءة تطوّر الموقف من المرأة عبر التاريخ العربي والإسلامي، ليصل من تلك القراءة الى أن موقف الدولة السعودية من المرأة هو ثمرة التطوّر الطبيعي للموقف من المرأة في الشؤون الاجتماعية على وجه الخصوص، ولذلك اكتفى بتسليط الضوء على شؤون المرأة الاجتماعية والتعليمية، وأعاد إنتاج النظرة النمطية السائدة حول المرأة في الغرب، باعتبارها جسداً وشهوة بلا كرامة وحقوق، ليصل في نهاية المطاف الى أن المرأة في ظل المنهج السلفي في حال أفضل، دون أن يتطرّق مطلقاً لحقوق المرأة السياسية والاقتصادية والفكرية..

على المستوى السياسي، يلفت التعريف الذي جرى تعميمه خلال الندوة أنه يخرج جماعات سلفيّة عديدة إكتسبت طابعاً حزبياً مثل أنصار السنة، والجمعية الشرعية، جماعة التبليغ، وأخيراً حزب النور السلفي في مصر، والسبب (إنّ السلفية ترى عدم جواز الانتماء إلى هذه الجماعات التي تنتسب إلى الدعوة الإسلامية لمخالفة تلك الجماعات في نشأتها ومبادئها وسيرها طريق السلف وتفريق جماعة المسلمين).

وفي ورقة الدكتور عبد العزيز بن محمد السعيد بعنوان (إبطال تقسيم السلفية إلى تيارات) نفى أن

تكون السلفية تياراً أو حزباً سياسياً غطاؤه الدين بل (إنها دين ومعتقد)، والسؤال الأولي والمباشر الذ يثار هنا، فإذا كانت ديناً ومعتقداً لماذا يردد الأمير نايف بأن الدولة السعودية سلفية، وعلى المنهج السلفي، فهل السلفية في الدولة غير السلفية في الحزب، غير السلفية في التيار السياسي؟!

مايلفت في ورقة السعيد أنه أعاد إحضار التعريفات الشمولية والإقصائية التي توصل الى التكفير، كقول أن السلفية (هي الاسلام كله)، وأن (المنتمين للسلفية هم أهل السنّة والجماعة)، ما يعني أن من هم على غير السلفية ليسوا من أهل السنة والجماعة! وهو ما أشار إليه أكثر من باحث في المحور نفسه، ومن بينهم الدكتور يوسف بن أحمد البدوي في بحثه (مصطلح السلفية حقيقته وصلته بالإسلام الصحيح)، حيث اعتبر (الدعوة السلفية هي الدعوة الربانية التي تهدف الى اصلاح العباد وتعريفهم بالخالق..).

وقد جاء في التقرير الصحافي الذي غطّى المؤتمر مغالطات وعبارات إقصائية كهذه الفقرة (المملكة منذ تاريخها المتجذر في الجزيرة العربية وهي تقوم وتسير على منهج السلف الصالح وهو المنهج السديد الصحيح الذي يمثل الإسلام الذي جاء به نبي الرحمة والهدى محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم)، فمنذ متى كان تاريخ المملكة متجذّراً في الجزيرة العربية ولم يمض على قيامها سوى قرنين ونصف متقطعين، ثم كيف يثبت أن المنهج الذي تسير عليه مملكة آل سعود (يمثل الإسلام)، ومن شهد لهم بذلك سوى مشايخ الوهابية؟

الغريب أن مدير جامعة الإمام محمد بن سعود، سليمان أبا الخيل، وهو بالمناسبة شخصية خلافية داخل التيار السلفي السعودي، قدّم مقاربة مغالية بقوله أن المنهج السلفي (يمثل الإسلام الصحيح الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم،) والسؤال هو ما تعريف الإسلام الصحيح؟ وماهو الإسلام الخطأ؟ وعلى أي أساس يكون معيار الصحة من الخطأ ؟ وهل السلفية الوطنية هي الإسلام الذي جاء به النبي محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه الكرام؟

سؤال آخر: هل حقاً أن نايف يخشى الوهابية القطرّية؟

ذكرت بعض وسائل الإعلام الالكتروني بأن الأمير نايف قال أن السعودية قامت على السلفية وستبقى. وقد فسّر بعض المواقع هذا الكلام على أنه ردّ على الوهابية القطرية المنافسة، في ظل مسعى قطري للعب دور بديل عن الدور السعودي الذي أصابه الوهن بعدما هرمت مملكة آل سعود. تصريحات الأمير نايف جاءت متزامنة مع إطلاق قطر إسم الشيخ محمد بن عبد الوهاب، مؤسس الدعوة النجدية، على أكبر مساجدها في خطوة وصفها مراقبون بأنها (محاولة قطريّة لمزاحمة السعودية كمركز للسلفية)، بحسب موقع (ميدل إيست أون لاين) في ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) الماضي. وقال الأمير نايف بأن الدولة السعودية (قامت على المنهج السلفي السوّي منذ تأسيسها على يد محمد بن سعود وتعاهده مع الإمام محمد بن عبدالوهاب...ولا تزال إلى يومنا هذا)، في إشارة الى أن مركز السلفية هو في وسط المملكة. ودافع عن تبني السعودية للمنهج السلفي في مقابل الآخرين الذي أراد إخراجهم من الدائرة السلفية، ومن خلال تعريفه للسلفية محدد يكون قد أخرج (كل ما ألصق بها من تهم..أو تبناه بعض أدعياء اتّباع المنهج السلفي).

وفهم مراقبون، حسب الموقع سالف الذكر، تصريحات الأمير نايف بأنها بمثابة رسائل قاطعة إلى الجارة قطر بأنها لن تستطيع مزاحمتها على مكانتها الدينية في العالم العربي والإسلامي، خصوصاً بعد تصاعد الأصوات الليبرالية الداعية إلى الإنفتاح في البلاد، فيما رأى هؤلاء المراقبون في افتتاح (مسجد الإمام محمد بن عبدالوهاب) في الدوحة إعلاناً من قطر باعتناقها (السلفية) والتزامها باتباع الدعوة الوهابية التي بقيت لسنوات على هامش الإهتمام في بلد فضل احتضان تيارات أخرى كالإخوان المسلمين وجماعة الدعوة والتبليغ وغيرهما. ويرى سعوديون في الخطوة القطرية رغبة في خوض سباق شرس مع بلدهم لاستقطاب السلفيين، وان واشنطن تستخدم قطر للتأثير على السلفيين بعد أن نجحت في احتواء الإخوان تحت مظلتها. يضاف الى تلك الدعاوى ما قاله الشيخ حمد بن خليفة آل ثاني في افتتاح المسجد (جدنا المؤسس الشيخ جاسم وهو العالم بالدين والحاكم في الوقت نفسه كان ممن تلقفوا دعوة الشيخ ابن عبدالوهاب وتبنوها ونشروها في بلادنا وخارجها في أنحاء العالم الإسلامي، وحمل على عاتقه مسؤولية نشر كتب الدعوة الوهابية وغيرها من الكتب وطباعتها في الهند من أجل التفقيه بدين الله).

وعرضت (وكالة الأنباء القطرية) لنسب الشيخ محمد بن عبد الوهاب مشيرة إلى انتمائه إلى قبيلة بني تميم التي تنتمي إليها الأسرة الحاكمة في قطر، وهو أمر يعتقد بأنه محاولة لإضفاء المزيد من الشرعية على تسمية الجامع بإسم الشيخ الذي تعرّض لانتقاد شرس من قبل شخصيات إخوانية مقيمة في الدوحة في وسائل إعلام محلية وعالمية.

ويذهب آل سعود الى تصوير الخطوات القطرية بأنها تعبير عن نوايا مبيّتة مع الأميركيين خصوصاً بعد تسريب مكالمة الشيح حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني بتقسيم السعودية ودخول قطر الى المنطقة الشرقية، وتنفيذ خطة التقسيم التي أشار إليها حمد بن جاسم. ولذلك جرى استثمار آل ثاني للزخم العشائري لبني تميم في الجزيرة العربية والترويج لقطر على أنها حاضنة القبيلة وعزوتها.

قد تكون هذه المعطيات صحيحة، ولا خلاف في دورها في تأجيج المخاوف الظاهرة والمستترة لدى أمراء آل سعود المسكونين بالخوف من أي شيء وكل شيء، ولكن لابد من الإشارة هنا الى أن ندوة (السلفية منهج شرعي ومطلب وطني) قد جرى الإعلان عنها قبل نصف عام على الأقل. لا يلغي ذلك على الإطلاق أن ثمة تحدّيات تواجه السلفية السعودية وتجعلها أمام اختبار حقيقي، رغم محاولات الدولة السعودية لأن تكون مظلة لكل التيارات السلفية في الخارج، في مصر وتونس، وليبيا واليمن وسورية والعراق والخليج، بهدف توظيفها في الصراعات السياسية الراهنة والمقبلة، ولكن ما تخشى منه العائلة المالكة هو أن تتحوّل هذه التيارات السلفية الى مصدر إلهام للتيار السلفي داخل المملكة فيتطلع للعب دور محوري في العملية السياسية المرشحة لأن تبدأ في المملكة في أي وقت.

صورة من المؤتمر

تجاذب بين الإتجاهين التقليدي والحركي

الإرباك سيّد السلفيّة

محمد السباعي

حالة من الإرباك غير مسبوقه يعيشها التيار السلفي في السعودية، فمن جهة يتموقع في موجة صعود الإسلاميين في أكثر من بلد عربي شهد انتفاضة شعبية ويحتسبه إنتصاراً كبيراً لم يكن يحلم به من قبل، ومن جهة أخرى يدرك المنتمون له ردود فعل النظام السعودي على أي تغيير في قواعد اللعبة الداخلية، خصوصاً مع ظهور تيار سلفي يترسخ اعتقاده في أن ولاية الأمر مقتصرة على العلماء دون سواهم، وأن العلماء هم الموكلون بشؤون العامة، وأن الأمراء تبع لهم يأتمرون بأوامرهم، وينتهون عمّا نهوا عنه.

كان الربيع العربي إختباراً جديّاً بالنسبة للتيار السلفي السعودي، فهو من جهة مدجّج بفتاوى تحرّض على (تحكيم الشريعة) في مقابل كتلة فتاوى تحظر (الخروج على الحاكم/الأمير/الإمام) ما لم يظهر منه كفرٌ بواح يخرج من الملّة، بل بلغ الحال بالمدرسة السلفية أن أغلقت الباب بإحكام على فكرة الخروج مطلقاً، واختارت طاعة الأمير فيما أطاع الله فحسب، أما في المعصية فلا طاعة، ولكن دون الخروج.

إذاً مالذي حدث في الربيع العربي؟

فقد صدرت فتاوى من كبار علماء المملكة تحرّم التظاهر في تونس ومصر، من أبرزها ما جاء على لسان مفتي عام المملكة الشيخ عبد العزيز آل الشيخ في خطبة الجمعة في ٤ شباط (فبراير) ٢٠١١ إن (مخططات مثيري المظاهرات إجرامية كاذبة لا هدف لها إلا ضرب الأمة والقضاء على دينها وقيمها وأخلاقها وتفريق كلمتها وتشتيت شملها وتقسيم بلادها والسيطرة على خيراتها)، معتبراً نتائجها سيئة وعواقبها وخيمة (لما فيها من سفك الدماء وانتهاك للأعراض وسلب الأموال والعيش في رعب وخوف وضلال).

وكان أعضاء اللجنة الدائمة لهيئة كبار العلماء في المملكة (أبو زيد، صالح الفوزان، بن غديان، عبد العزيز آل الشيخ، والشيخ بن باز) قد أفتوا بتحريم (المظاهرات والاعتصامات والإضرابات..) ويشمل ذلك: تحريمَ المقاصدِ وتحريمَ الوسائلِ. ويحسب اللجنة الدائمة، الفتوى رقم (١٩٩٣٦) (الجزء رقم: ١٥، الصفحة رقم: ٣٦٨)، وضمّت ٢٣ عالماً سلفياً وشيخاً في المملكة ومصر، والأردن وسورية والكويت واليمن والجزائر، تحرّم التظاهر.

وكان موقف الشيخ صالح اللحيدان، رئيس مجلس القضاء الأعلى السابق، من مظاهرات تونس ومصر وليبيا فارطاً في صرامته، بقوله في ٢١ شباط (فبراير) ٢٠١١ أن (المظاهرات من الفتن غيرالمحمودة شرعاً). وقال في تسجيل صوتي (كرّرت التأكيد على أن المظاهرات غير شرعية لما يترتب عليها من المفاسد من إتلاف الأموال، أو سفك الدماء، أو الترويع، إلى غيره، وإذا لم يحصل من هذا شيء أبدًا، فإنه يحصل فيها تعطيل الناس عن القيام بأعمالهم، وفتح متاجرهم، وكل ذلك لا يجوز). وعزّز رأيه بالقول (لم يعرف عن أحد من أئمة الإسلام – من الصحابة والتابعين والأئمة الأربعة – أن أحدًا منهم يحث الناس عند الإستنكار أن يقوموا بمظاهرة ومغالبة)، مذكّراً (بالسمع والطاعة حتى إذا كان الوالي غير مرضي عنه من الناس ما دام لم يكفر).

إنتقائية علماء السلفية حيال الثورات العربية تسبّب في إنقسام داخل التيار نفسه أولاً، ثم أحدث ردود فعل متباينة لدى علماء دين وأحزاب سلفية

ولكن..على النقيض تماماً من هذا الرأي، إنتشرت فتاوى للحيدان صادمة حيال التظاهرات في سورية واليمن..ففي تسجيل صوتي نشر على موقع يوتيوب في ٢٢ نيسان (إبريل) ٢٠١١ دعا (للجهاد) لإسقاط الرئيس بشار الأسد ودعا أيضاً الى تنحي الرئيس اليمني علي عبد الله صالح وتسليم سطاته. ودعا اللحيدان (الشعب السوري للجدّ والاجتهاد في مقاومة النظام السوري حتى لو ذهب ضحايا)، وأضاف: (يرى في مذهب مالك أنه يجوز قتل الثلث ليسعد الثلثان، فلن يقتل من سوريا ثلثها إن شاء الله). من جهة ثانية، دعا اللحيدان الرئيسَ اليمني للتنحي وتسليم سلطاته، ودعا الله (أن يرينا في المجرمين عجائب قدرته، وأن يعاجل علي عبد الله صالح عن التخلي عن منصبه، أو أن يعاجله بالإزالة، وأن يكون ما بعده خيراً لليمن ولمن يجاوره ممن كانت الحال عليه قبله..)، محذرًا في الوقت نفسه (من سيطرة الحوثيين على السلطة في اليمن).

إنتقائية اللحيدان، وعلماء السلفية عموماً، حيال الثورات العربية تسبّبت في انقسام حاد داخل التيار نفسه أولاً، كما أحدث ردود فعل لدى علماء دين آخرين، فضلاً عن انخراط التيار السلفي في أنظمة مابعد الثورة، بعد أن أفتى العلماء في المدرسة السلفية بتجريم التظاهر على النظام مهما بلغ جوره.

فقد ردّ الشيخ السلفي اليمني يحيى بن علي الحجوري، مدير معهد (دار الحديث) في دمّاج في محافظة صعدة بالشمال اليمني، على فتوى الشيخ صالح اللحيدان بتغيير نظام علي عبد الله صالح. وقال الحجوري في ردّه على فتوى اللحيدان بأنها (ليست بصواب، ففيها تهييجٌ ومعاضدةٌ لأناسٍ هو يبغضهم، ويبغضهم كلُّ سنيّ، فأصحابُ هذه الثورة هم (الاشتراكيّون)

و(البعثيّون) و(الناصريّون) و(الروافض) و(الإخوان المسلمون).

وأضاف (فإنّ هذه الفتوى تُهيّج هؤلاء بالثورة على من هو أحسنُ حالاً منهم، على ما فيه، وإن كان عنده ما يُنتقد وننكره عليه). وتحفّظ الحجوري على ما نقله اللحيدان عن الإمام مالك أنه (يجوز قتل الثلث ليسعد الثلثان)، وقال (هو نقلٌ فيه نظر عن الإمام مالك).

وخاطب الحجوري مباشرة (يا شيخ (صالح).. ما يدريك أنّهم يسعدون أو يزدادون شقاءً، بسبب إراقة دماء المسلمين والأذى لهم..).

توالت الفجوات داخل التيار السلفي، حين بدأت مرحلة الإستحقاقات في أكثر من بلد عربي. ففي مصر، على سبيل المثال، حيث دخل حزب النور السلفي كأحد الفاعلين الرئيسيين في المعادلة السياسية الجديدة، رغم أنه لم يشارك في ثورة ٢٥ يناير بل كان متماهياً مع نظام مبارك وجهازه الإستخباري، وقد أبدى الحزب (الذي تتحفظ السلفية السعودية الرسمية على تحويل السلفية الى حزب أو تيار سياسي) مرونة في التعاطي مع الوقائع القائمة. ونشرت وكالة فرانس برس في ٢١ كانون الأول (ديسمبر) الماضي مقتطفات من مقابلة غير مسبوقة للمتحدث باسم حزب النور السلفي يسري حمّاد مع إذاعة الجيش الإسرائيلي، منها أن حزبه سيحترم إتفاقية السلام الموقّعة مع اسرائيل عام ١٩٧٩. وقال حماد في مقابلة عبر الهاتف من القاهرة مع اذاعة الجيش الاسرائيلي (نحن لا نعارض الاتفاقية ومصر ملتزمة بالمعاهدات التي وقعتها الحكومات السابقة). وأضاف (نحن نحترم جميع المعاهدات). ورحّب بالسيّاح الإسرائيليين.

على المقلب الآخر، لحظنا إنقلاباً مفاجئاً لمن يوصف بـ (إبن تيمية الصغير)، أي الشيخ سفر الحوالي، الذي اختفى طويلاً عقب إصابته بنزيف داخلي في المخيخ أدّى الى شلل شبه تام منذ العام ٢٠٠٥. ففي مؤتمر في تونس في ١٧ كانون الأول (ديسمبر) الماضي نظّمته (الحملة العالمية لمقاومة العدوان) التي يرأسها الشيخ الحوالي، بدا الأخير كما لو أنه قادم برؤية جديدة حيال الديمقراطية، والإنتخابات، وتأسيس الأحزاب والنقابات، التي كانت توصم باعتبارها محرّمات، بل وكفريات.

عن رؤيته الفقهية، المثبّتة على موقعه حتى الآن، سئل الحوالي بشأن مفهوم الديمقراطية وهل في الإسلام ديمقراطية؟ فقد نظر الى الديمقراطية من خلال الممارسة الغربية لها ونقد الحرية المنفلتة الاجتماعية والاخلاقية. ونفى أن يكون في الإسلام ديمقراطية (الله عز وجل رضي لنا الإسلام..فما رضي لنا الإشتراكية ولا الديموقراطية ولا القومية ، ولا أي تسمية أخرى..)

وقال في جواب على سؤال عن حكم الإسلام في الديمقراطية، أجاب الحوالي ما نصّه (بالنسبة لنا نحن في دين الإسلام: الديمقراطية كفر، الديمقراطية شرك..)، لأنها لا تحكم بما أنزل الله (فالتحكيم الديمقراطي هو اتّباع لأهواء الذين لا يعلمون..).

ولكن في المؤتمر الأخير بدا الحوالي في كلمة الافتتاح الموسومة (ولدنا أحراراً) ديمقراطياً من الطراز الرفيع، فقد دعا الأنظمة التي لم تصلها رياح الثورات (أن تأخذ العبرة مما جرى، وأن تتصالح مع شعوبها والقيام بإصلاحات شاملة وفتح المجال لقيام أحزاب سياسية ونقابات مهنية وإقامة انتخابات حرة ونزيهة). وكان موقف الحوالي منسجماً مع رفيق دربه الشيخ سلمان العودة الذي أثنى على التطوّر الكبير في تونس وقال عن شعبها أنه (تحرّك من أجل الحريات، ولذا يجب أن يحصل على حريته، بما في ذلك حرية العمل السياسي وتنظيم التجمعات والأحزاب).

الحوالي العائد تدريجاً الى الساحة، بدا في الربيع العربي ديمقراطياً بعد أن كان يعتبر الديمقراطية كفراً، ويدعو الأنظمة لأخذ العبرة والقيام بإصلاحات

في المقابل هناك من المشايخ الكبار في المدرسة السلفية يرفضون القول الجديد للحوالي ويتمسّكون بما كان يؤمن به الأخير فيما مضى من تحريم للديمقراطية والأحزاب والنقابات (على طريقة ناصر العمر الذي مازال يمسك العصا من منتصفها فهو مع آثار الديمقراطية وليس مع عنوانها)، فقد رفض الشيخ صالح الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء، أن يمنح دعمه لحزب النور السلفي وقال بأن على المسلم (وقت الفتن أن يتجنبها وأن يبتعد عنها حتى تهدأ، ولا يدخل فيها، هذا الواجب على المسلم)، وقال بأن (الأحزاب والتكتلات قد تجر إلى شر وفتنة واقتتال فيما بينها، فالمسلم يتجنب الفتن مهما استطاع).

النزوع الى التمييز بين نوعين من السلفية: سلفية تقليدية/عقدية وأخرى سلفية حركية/ سياسية تشي بانقسام في المجتمع السلفي السعودي قبل غيره، فالتماهي مع السلفية العقدية يعني العودة الى خط الدفاع الأولى عن العقيدة التي أسّست الدولة السعودية، وإن ظهور سلفية سياسية تحاول بخجل حتى الآن الإنفتاح على أدوات ومفاهيم الديمقراطية (الأحزاب، النقابات، والاتحادات، الإنتخابات، الدستور، التشريعات القانونية..).

في تقديرنا إن هذا التمييز سيحكم المشهد السلفي في العام ٢٠١٢، حيث سنجد تجاذباً بين التيار التقليدي في السلفية الذي يرفض التعاطي مع المفاهيم الحديثة والقبول باللعبة الديمقراطية من أجل التماهي مع الواقع السياسي الجديد، والحفاظ على ما يعتبره العقيدة الأصلية التي قام عليها المذهب. ولذلك، فإن حزب النور السلفي في مصر، على سبيل المثال، منبوذ من السلفية التقليدية في السعودية، ولكّنه بالتأكيد يحظى بتقدير ودعم السلفية السياسية.

بطبيعة الحال، لا يمكن حسم الرأي في السلفية السياسية، التي لا تزال غير واضحة المعالم فيما يرتبط بموقفها من الآخر، سواء داخل المجال الإسلامي (أتباع المذاهب الأخرى)، أو المجال الديني (النصارى واليهود وأهل الكتب الأخرى) أو في المجال الإنساني (من يسمونهم العلمانيين والليبراليين وغيرهم)، خصوصاً ما يترتب على ذلك من التزامات، بالنظر الى حق الآخر، مهما يكن، في المشاركة في سن التشريعات، التي قد تتعارض جزئياً أو كلياً مع موقف (تحكيم الشريعة)، إذ بحسب الفتوى السائدة لدى علماء السلفية التقليدية عدم جواز العمل في حكومة لا تحكم بغير شريعة الإسلام، ولا المشاركة في الانتخابات فيها إلا بهدف (دفع ضرر أكبر) أو (درء فساد محتمل). وإلا فإن الأصل هو حرمة الإنتخابات والأحزاب وغيرها لأنها من البدع المحرّمة، كونها لم ترد في كتاب أو ترد في فتاوى علماء الدين.

بإزاء هذا التنوع الثري في أشكال السلفية التي لن تقتصر على بلد دون سواه، سيدخل التيار السلفي السعودي بشقيّه التقليدي والحركي مرحلة تجاذب جديدة، قد تفضي إلى تطوّرات هامة مع تطلّع الشق الحركي الى لعب دور مماثل لنظرائه في بلدان عربية شهدت تحوّلات كبرى وسمحت لقوى سلفية حركية بالمشاركة بأدوار فاعلة، فيما سينافح التيار التقليدي من أجل الحفاظ على موقعه كحارس للعقيدة، وما يتطلبه من دفاع عن النظام السياسي الذي يأويه.

الحرب التي لا تفهما السعودية

خالد شبكشي

السعودية تستعجل الحرب على إيـران. تتمنّاها أن تقع اليوم قبل الغد. والإعلام السعودي ـ خاصة قناة العربية وجريدة الشرق الأوسط ـ يظهر تلك الرغبة والإستعجال وكـأن نهاية النظام في إيران قد لاحت، وكأن الحرب مجرد نزهة، يقوم بها الإمريكي نيابة عن السعودية كيما تستعيد الأخيرة مكانتها الإقليمية، بعد أن فشلت في ميدان المنافسة السياسية.

الحرب كما يقول الشاعر الجاهلي امرئ القيس، مغرية في بدايتها، بشعة في نهايتها:

الحربُ أوّلُ ما تكون فتيّةً/ تسعى بزينتها لكل جهولِ

حتى إذا استعرت وشبّ ضرامُها/ عادت عجوزاً غير ذاتِ خليلِ

شمطاءَ جزّت رأسها وتنكّرتْ/ مكروهة للشمّ والتقبيلِ

آل سعود ليسوا رجـال حـرب، ولا جيش السعودية جيش حـرب، لم يدخل حرباً يمتحن فيها، بل دخل أقلّ من ربع حـرب، حين واجه الحوثيين فخسر فيها خسارة كـبرى، ودخل الحـوثـيون واسـتـولـوا على ٤٧ موقعاً داخل الأراضي السعودية.

إذن لماذا التحريض السعودي على الحرب؟ الملك عبدالله يقول للأمريكيين ـ كما تثبت وثائق ويكيليكس ـ اضربوا إيران فهي (رأس الأفعى) حسب تعبيره؛ والإسرائيليون يقولون ذات الكلام، ويحرضون الإدارة الإميركية على ذات الفعل، ويعمل اللوبيان الإسرائيلي والسعودي في واشنطن بشكل منسّق لتحقيق غاية موحدة.

السعودية ـ وعبر بندر ـ وعدت منذ أربعة أعوام الولايات المتحدة بأن تدفع القسم الأكبر من تكاليف الحرب لو قامت؛ وإعلام السعودية يهوّن من شأن إيران، ويقول بأن كل ما تزعمه من قوّة غير صحيح، فهلموا واضربوها، فما هي ـ حسب الصحافي السعودي في الشرق الأوسط مشاري الذايدي ـ إلا دُمُلة آن فتقها، وإخراج قيحها!

يظنّ السعوديون أن التهوين من شأن قوّة إيران سينطلي على الأميركيين. لو كانت إيران بذلك الضعف الذي تصوره السعودية، لقامت الحرب منذ سنوات، وتمّ التخلص من النظام الحاكم هناك. لكنهم يدركون بأن الحرب مكلفة، ليس فقط عليهم، بل على حلفائهم ايضاً في الخليج واسرائيل. السعودية تقول بـأن ايران لا تمتلك الـقـدرة على إغـلاق مضيق هرمز؛ والأميركيون يقولون أنها قادرة. والسعوديون يقولون بأن صواريخ ايران هي مثل صواريخ عبدالـنـاصـر المـزعـومـة (الـقـاهـر والـقـادر) والأميركيون يقولون بأنها صواريخ ضخمة العدد شديدة التأثير. والسعوديون لا يصدقون أن لدى ايران غواصات صغيرة وكبيرة رغم ظهورها على الشاشات، ولا يقبلون بالقول أن لديها باع في التكنولوجيا وقوة بحرية فعّالة ونشطة، ولا قوّة جويّة لأن ايران لم تشتر طائرات حربية غربية كما فعلوا هم. أمـا الأمـيركـيـون فيعرفون خصمهم وإمكانياته جيداً.



السعودية خطت خلال الأشـهـر الـثـلاثـة الماضية خطوة إضافية واضحة في التحريض على حظر النفط الإيـــراني، ومـن ثـمّ تقريب احـتـمـالـيـة الحــرب. قـالـت السعودية في تصريحات عـلـنـيّـة بـأنـهـا تستطيع ومستعدة لأن تعوّض النقص في الإسواق إذا ما تم الحظر. بمعنى واضح: لا تشتروا النفط الإيراني، نحن نبيعكم بديلاً له. وفعلاً فقد ارسلت وفوداً عديدة الى اليابان والصين لهذه الغاية. وقد زاد الإنتاج السعودي في الشهور الماضية من النفط الى حد غير مسبوق في تاريخ انتاج النفط السعودية (أكثر من ١٠ ملايين ونصف مليون برميل يومياً).

ليست هنا المشكلة. فالسعودية تستطيع فعلاً التعويض عن النفط الإيراني (تصدير مليونين ونصف المليون برميل يومياً). ولكن السؤال: مالذي يضمن للنفط السعودي من الوصول الى المشترين إن قامت ايران بإغلاق مضيق هرمز، مع أنها تعتقد انه في حال الإغلاق فإن حرباً ستقع، تدمّر من خلالها ايران ـ كما تعتقد ـ ويفتح المضيق.

هـذا تصوّر بـائس لتداعيات الحـرب. فمن يدخل الحرب عليه أن يعلم بنتائجها في النهاية. مـاذا لو أطلقت ايـران صواريخها الدقيقة ـ او حتى غير الدقيقة ـ على معامل التكرير في رأس تنورة، والأهم على معامل أبقيق لفصل الغاز عن النفط، وهي المرحلة الأساس قبل تصدير النفط؟ ماذا سيحدث لو أطلقت الصواريخ، وهي ستطلق على الأرجح على قلب الصناعة البتروكيماوية في الجبيل؟ ما هي البدائل إذا ما طالت الحرب، أو تأخر فتح مضيق هرمز؟ بالتأكيد فإن خط بترولاين الموصل بين نفط شرق المملكة مع ميناء ينبع غربها، ليس بديلاً عن الخليج، ومن المؤكد ان نحو ٦٠–٧٠٪ من امـدادات النفط السعودي ستتوقف اذا ما توقف المضيق؛ فضلاً عن ذلك فـإن السعودية ودول الخليج بعكس ما هي عليه ايـران، تعتمد في حاجياتها على الموانئ الشرقية، في حين أن ايران مكتفية ذاتياً بنحو يصل الى ٩٥٪ من كل حاجياتها الغذائية والصناعية.

ولذا فإن الحرب محتملة في حال تم حظر شراء النفط الإيراني، ومن المحتمل جداً أن تقدم ايران على إغلاق المضيق، وهي تمتلك امكانياته؛ وتبعاً لذلك فإن من المحتمل جداً ايضاً ان تقع الحرب بين الغرب وايـران. لكن هذه الحرب لن تكون ساحتها مضيق هرمز والأراضي الإيرانية، بل ستشمل كل دول الخليج وقواعد اميركا فيها والصناعة النفطية والبتروكيماوية هناك، فضلاً

عن اسرائيل.

فهل لدى أمريكا والغرب استعداد لذلك؟

من غير المحتمل ان تقوم حرب لأسباب عديدة، فالحرب لن تقصم بالضرورة ظهر ايران، وستعجل بانتاج سلاحها النووي، وسترفع أسعار النفط الى ما يقرب من ٢٠٠ دولار للبرميل. بكلمة فإن الدمار سيعم المنطقة. نظن أن اميركا تفهم ذلك، وإن كان السعوديون والإسرائيليون يعتقدون بأنهم قادرين على تحمل كلفة قليلة فيما يدفع الأميركيون والغربيون الجزء الأكبر منها، فالمهم بالنسبة لهم هو التخلّص من النظام الحاكم في طهران.

لكن الغرب ـ كما عودنا ـ لا يدخل حروباً بالنيابة عن آخرين؛ ولا يستطيع على الأقل في الوقت الحالي أن يشنّ حروباً كبيرة، لأسباب اقتصادية وسياسية. فهناك أكثر من انتخابات في عواصم غربية بينها واشنطن على الأبواب؛ وهناك أزمة اقتصادية خانقة ستزيدها الحرب التي لا يعرف حجمها وأمدها. إن واشنطن التي لم تنجح في العراق، ولم تنجح حتى في التغلب على من كانت تسميهم عصابات طالبان مع دعم من عشرات الدول بما فيها دول الناتو، كيف لها أن تتغلب على دولة بحجم ايران؟

بيد أن هناك سؤالاً ملحّاً فيما يتعلق بالحماسة السعودية لحرب إيران، وهو: ما هي الجريمة الكبرى التي فعلتها إيران حتى استحقت هذا العداء السعودي المستحكم، الى الحدّ الذي يجعلها مستعدة للمغامرة في المشاركة في حرب وتمويلها ضدها؟

كل جريمة ايران، أنها تقع في معسكر مواجه للغرب واسرائيل (ولو غيرت ايران بوصلتها السياسية لطلب الغرب من دول الخليج ان يتبعوا ايران وليس فقط أن يرضوا عنها، تماماً كما في عهد الشاه). ايضاً فإن ايران قزّمت النفوذ السعودي في المنطقة، بسبب هزال النظام في الرياض وفشل سياسته الخارجية ورهانه على الغرب وامريكا. النفوذ السعودي يتسافل لأنه نفوذ قائم في الأساس على موج النجاح الغربي، فإذا ما أخفق الغرب أو تراجع في المنطقة كما هو واضح اليوم، فإن الأدوات الذيلية تخسر معه، ولهذا نرى أن كل حلفاء واشنطن يخسرون في المنطقة: في مصر، واسرائيل وبقية دول الإعتدال العربي كما يسمون.

بقي أمران يجدر بنا التنبيه لهما: أولهما له علاقة بالفهم السعودي الساذج لإيران. فإن كانت السعودية تنظر للأخيرة كعدوّ أو كمنافس، فلا أقل يجب أن تفهم هذا الخصم العنيد. أن تفهم مكامن قوّته، ونقاط ضعفه، واستراتيجياته.. إن أبسط الأمور غير مدركة في السعودية؛ فهي دولة لا يوجد بها مركز أبحاث واحد، وكل المواقف والمعلومات تأتي شفاهاً أو حتى مجرد اشاعات. يعتقد السعوديون بأن إيران مغامرة، والحقيقة فإن ايران من أكثر الدول اعتماداً على مراكز العلم والأبحاث لديها سواء كان في السياسة أو في الشؤون الأخرى. لم تستخدم ايران عضلاتها منذ ١٩٨٨ وهو عام انتهاء الحرب العراقية الإيرانية؛ في حين أن السعودية تلوّح بعضلات مفقودة ليست لديها اصلاً، وانما بعضلات آخرين امريكيين واوروبيين.



وثانيهما، وقد يكون هذا من حسن الحظ، أن الغرب يفهم ايران جيداً، بل ويحترمها جيداً حتى وإن كانت عدوّاً ممقوتاً الى أبعد الحدود. هو يعرف حجم قوتها، أو على الأقل لا يستهين بها، ولا بتقدمها العلمي والتكنولوجي والصناعي والعسكري والنووي وغيرها. وبناء على هذا الفهم، ندرك بأن الوصول الى حافة الحرب لا تعني الحرب، وإنما هي استعراض كل طرف لقوته، واختبار جديّة خياراته وقراراته المحتملة. ولذا لا نظن أن الغرب سيسارع من الغد لحرب مع ايران يعلم مسبقاً أنه ـ إن انتصر فيها وهو ليس مؤكداً ـ فسيكون مثخناً بالجراح، وستكون هزيمة ايران مجرد معركة قد تدفعها لإنتاج سلاح نووي في غضون أشهر. أما اذا هزمت اميركا، فستكون نهايتها كقوة عظمى.

إن كان هذا التحليل قريباً من الصحّة، فلماذا إذن هذه الضجّة والتصعيد بين أمريكا وحلفائها مع ايران؟ بعض الباحثين في الخليج ومنهم شفيق الغبرا، يرى بأن الهدف الحقيقي هو الضغط على ايران من جهة، وبيع الأسلحة لدول الخليج، خاصة السعودية من جهة أخرى. ينبغي التذكير هنا بحقيقة أن الضغط على إيران قد لا يستهدف البرنامج النووي الإيراني بالذات، وإنما المطلوب تنازلاً سياسياً إيرانياً في مكان ما: سوريا مثلاً؛ أو العراق؛ أو لبنان؛ او فلسطين. معلوم أن الإنسحاب الأمريكي من العراق بالذات قد آلم الأمريكيين كثيراً، حيث يعتقد الأميركيون بأن الإيرانيين كانوا وراء (هندسة) إخراج القوات الأميركية ذليلة من خلال القوى السياسية الكردية والشيعية، وبتحريك قوى المقاومة هناك، ما أدّى الى رفض ابقاء قوات اميركية ما لم تكن تحت القانون العراقي، وهذا شرط مستحيل لأن الكونغرس قد شرع قانوناً لا يقبل محاكمة اي جندي في الخارج إلا أمام المحاكم الأميركية. ولنا ان نتخيل ان العراق المحتل يستطيع ان يقول (لا) لأميركا في حين ان لدى الأخيرة تواجداً عسكرياً في اكثر من ١٣٠ دولة وبينها السعودية ودول الخليج الأخرى وكلها تقول لأميركا (نعم)!

من الواضح أن الإيرانيين رفضوا تقديم تنازل سياسي في أي مكان للأميركيين، ونتذكر أن أمير قطر قد زار طهران قبل نحو ٣ أشهر، ليوصل رسالة بهذا المعنى، وبتهديد واضح، وقد رُفض التهديد، وجاء التصعيد أخيراً.

ربما يكون قد فات أوان الحرب؛ فأميركا عضلة قوية تسبق عقلها أحياناً في الدول التي تعتقد بأنها قادرة على كسرها بسهولة؛ أما إيران فقصة أخرى، وما التصعيد إلا لوضع كوابح أمام الإندفاع السياسي والصناعي والحربي الإيراني؛ ولابتزاز دول الخليج التي اعتادت الإبتزاز بحجة (أمن الخليج) الذي له كل يوم عدو، مرة السوفيات، ومرة العراق، ومرة العراق وايران، ومرة ايران وحدها.

ايران تحتل بموقعها الجغرافي أكثر من نصف شاطئ الخليج، فلا يعقل أن تهدد الخليج وهي دولة خليجية ـ غير عربية؛ ولا يمكن ان تغلق مضيق هرمز، إلا إذا حرمت من تصدير نفطها. حينها يكون الأمر: عليّ وعلى أعدائي.

نهايتها الفشل

المبادرة السعودية: هل تغتال الثورة اليمنية؟

توفيق العباد

كانت مبادرة سعودية محضة، تحوّلت الى مبادرة خليجية حتى يسهل استمراؤها وقبولها. ذلك أن قوى عديدة في اليمن لا تشعر بارتياح من الدور السعودي المتطفّل والداعم لعلي عبدالله صالح. وبالرغم من انسحاب قطر من المبادرة، فإن الدول الخليجية الأخرى لم تعارضها، وإن لم تكن ترتاح لعلي صالح. لكن من المؤكد أن كل دول الخليج، بما فيها قطر، تريد انتقالاً للسلطة من علي صالح (الى يد أمينة)! واليد الأمينة ليست إلا إزاحة علي عبدالله صالح وقلة من الوجوه الأخرى، والإتيان بوجوه معروفة كانت موجودة في السلطة اصلاً، أو لها علاقات وثيقة بالسعودية بالذات، مع تفويت الفرصة أمام نجاح الثورة بشكل كامل، ومنع أية قوى معارضة لا يرتاح لها الغرب ولا السعودية، وبالذات الطلبة والشباب الذين أشعلوا الثورة، وكذلك الحوثيين الذين هم قوة ضاربة وذات تأثير سياسي كبير، منعهم وتهميشهم عبر المبادرة السعودية.

الآن وقد قبل علي عبدالله صالح بالمبادرة، في جراحة تجميلية لوجه النظام، فإن الجهد الغربي الخليجي ينصبّ على تشكيل البديل، الذي هو في واقعه يشمل معظم ان لم نقل كل الوجوه السياسية القديمة، وبالتالي ـ ان نجح المخطط ـ يكون الإنقلاب على الثورة اليمنية قد آتى أكله، وتكون الثورة قد فرّغت من محتواها فعلياً.

يهم السعودية احتواء الثورة عبر مبادرتها، التي تميل الى تغيير الحدّ الأدنى من الوجوه السياسية المعروفة. فالسعودية لاتزال تأمل بالإحتفاظ بنفوذها المتميز في اليمن والذي تمدد خلال العقود الثلاثة الماضية بشكل مفرط في ظل علي صالح وأركان نظامه. جوهر الثورة اليمنية لا تستطيع السعودية التعايش معه؛ لا تستطيع السعودية التعايش مع يمن جمهوري وثوري يقف على البوابة الجنوبية لحدودها. لا تستطيع السعودية تحمّل وجود قوى معارضة لها في السلطة سواء بين الطلبة أو الحوثيين او حتى الجنوبيين وبعض رجال القبائل.

لكن ما لا تريد السعودية إدراكه أن الثورة أنتجت قوى سياسية جديدة، وسمحت بترسيخ قوى أخرى؛ وأن الطبقة السياسية القديمة التي تخطط المبادرة السعودية تسليمها السلطة من الباب الخلفي لا تستطيع وحدها الإمساك بزمام السلطة. والدليل واضح، وهو أن التظاهرات والإعتصامات في كل المدن اليمنية لاتزال قائمة؛ وأن هناك إصراراً على محاكمة علي صالح، وعلى تغيير الطاقم الحاكم من جذوره.

قطر التي دخلت على خط الأزمة، وحاولت وراثة النفوذ السعودي في اليمن من خلال احتواء حزب الإصلاح واللواء علي الأحمر، نجحت في البداية من خلال الدعم المالي، وقام الحزب وعلي الأحمر بتغيير شعاراته بل وممارسة بعض النقد العلني للدور السعودي؛ أما بعد توقيع علي صالح المبادرة، فيبدو أن الإنتهازية تغلّبت وعاد الاصلاحيون والأحمريون الى حليفهم وحبيبهم السعودي القديم.

حزب الإصلاح اعتقد بأن نهاية الثورة يقررها هو، وكأنه هو الذي بدأها! وحين قبل بالمبادرة، وبقي اعتصام صنعاء الكبير، هاجمه فجر أحد الأيام وجرح الكثيرين مطالباً بفضّه، وكان فيما مضى يقدّم الطعام للجمهور يومياً! أيضاً فإن حزب الإصلاح ـ وحسب الرغبة السعودية ـ حاول قطع تمدد الحوثيين في الشمال، وراح يهاجم مواقع نفوذهم، وهو عمل مصادم حاولت قطر قبل نحو ٤ اشهر حلحلته بالحسنى عبر التفاوض مع الطرفين الحوثي والإصلاحي؛ أما بعد توقيع المبادرة فإن السعودية تحبّذ المواجهة بدلاً من التفاوض لحسم الصراع والنفوذ.

مسألة أخرى برزت، وهي قضية بلدة دمّاج، ومركز السلفية الوهابية فيها. لا بدّ أن القدر يسخر، ولا بدّ أن التاريخ يأبى إلا أن يغيظ السعوديين. هؤلاء الأخيرون لم يقبلوا بالنفوذ السياسي الأول والمتميز في اليمن فحسب، بل رأوا أن ذلك النفوذ لا يمكن أن يبقى إلا بنفوذ وهابي رديف؛ فالولاء الديني ـ حسب التجربة السعودية ـ مقدّم على الولاء السياسي لآل سعود. مع انطلاقة النفوذ السياسي السعودي وتصاعده، حدث أن تحول أحد الزيدية الى الوهابية وهو مقبل الوادعي، وهو من دمّاج، وذهب الى السعودية وتعلم على يد بن باز وصارت له حظوة. أراد السعوديون تأسيس قلعة وهابية في داخل قلعة الزيدية في صعدة المحافظة، وبالتحديد في دمّاج وليس في صنعاء او الحديدة أو تعز أو أي مدينة أخرى. تم تأسيس معهد كبير، وجيء بالوهابيين من كل العالم ليدرسوا فيه وليصارعوا الزيدية وليحولوهم بالقوة والمال والسلاح والمضايقات وتحت مظلة عسكر علي صالح والقبائل المشتراة سعودياً، يحولونهم



انتهى عصر طاغية والعمل جار على استبداله!

الى الوهابية. كان ذلك في بداية الثمانينيات الميلادية. وقد تضخم المعهد وصار المئات وقيل الآلاف يفدون اليه ويدرسون فيه.

مع تلاشي قوة علي صالح، وتبدّل وضع السعودية من القوة الى الوهن، خسر معهد الوهابية في دمّاج غطاءه السياسي والأمني، وما كان مقبولاً تحت ضغط القوة السعودية صار مرفوضاً في عصر الثورة؛ ولكن فيما يبدو لم ير الوهابيون أن شيئاً تغيّر، ورأت السعودية بأن على دمّاج أن تسدّ ثغرة ضعف النظام الأمنية، وأن يقوم الوهابيون بمساهمة كبيرة وباستخدام السلاح لمواجهة الحوثيين الزيديين. والنتيجة ان خسر الوهابيون المعركة العسكرية، وبدأ الصراخ يظهر من كل المواقع السلفية: (أنقذوا دمّاج)!

الانتشار المذهبي الوهابي آذن بالأفول في اليمن؛ فبقدر ما تخسر السعودية من نفوذ تتقلّص مظلّة الحماية، ويتضاءل ألق الوهابية.

الآن نرى وبشكل لم يكن أوضح منه منذ انطلاق الثورة اليمنية، أن النقد الموجّه لأميركا والسعودية من قبل المتظاهرين والمعتصمين وهم بالملايين، قد تصاعد بشكل صاروخي. الأكثرية باتت تعتقد أن السعودية عدوّ لثورة الشعب اليمني، وعدوّ لمصالحه، وهذا ما يظهر من الشعارات المرفوعة واليافطات والتصريحات الإعلامية.

حتى الآن، وبسبب إصرار الشارع على المضي في الثورة، وعلى محاكمة علي صالح وأركان نظامه، وتأسيس نظام جديد بديل عن القديم، لا إلباس القديم بلباس الجديد.. فإن المبادرة السعودية لم تمض بالسهولة التي أرادها الأميركيون والسعوديون، رغم الضخ المالي لأركان النظام، والمظلّة السياسية المتوفرة للبديل أو نصف البديل.

قد لا تحقق الثورة اليمنية كامل أهدافها في ضربة واحدة؛ ولكن من المؤكد أن مخرجات الثورة حتى الآن تؤكد بأن السعودية ومن ورائها الولايات المتحدة بالذات فشلتا في فرض وجوه حاكمة دون إحداث تغيير ثوري في العمق وهو أمرٌ لا يقنع الشارع اليمني، وأن ما جرى حتى الآن ليس إلا البداية، وأن إرادة الشعب اليمني إذا ما قدّر لها المواصلة فإنها قادرة ليس فقط على إسقاط المبادرة السعودية وعلي عبدالله صالح فحسب، بل الأهم إسقاط نظامه.

بقيت حقيقة أخرى يجب التأكيد عليها وهي أن المبادرة السعودية تجاهلت كل القوى التي عملت على زعزعة اركان نظام صالح، ودفعت الثمن، ومن ثم صنعت الثورة، قبل أن يلتحق الأفاقون التابعون للسعودية ويركبوا موج الثورة لسرقتها.. تلك القوى التي ابعدتها المبادرة ولم تمنحها ـ بل لم تجرب حتى ـ أي دور لصناعة مستقبل ما بعد علي صالح، هي نفسها القوى التي تشكل عائقاً أمام مؤامرة (المبادرة السعودية)، وهي نفس القوى التي إن اشتركت ضمن النظام السياسي في مرحلة ما بعد علي صالح، أضعفت السعودية، وإن تخارجت عنه فإنها جعلت النظام السياسي معوّقاً غير قادر على النهوض.

العراق والسعودية: قسمة ضيزى في تبادل السجناء

في السعودية هناك نحو عشرين ألف معتقل سياسي وأمني، بينهم إصلاحيون ومشايخ وناشطون حقوقيون وسياسيون وإعلاميون وكتاب ومحامون وأساتذة جامعات وغيرهم ومن مختلف المناطق والمذاهب. معظم هؤلاء لم يحاكموا رغم مرور سنوات طويلة على اعتقالهم، بعضهم أمضى ١٧ عاماً كما هو الحال مع من يسمون بـ (المعتقلين المنسيين) الشيعة في القطيف، حسب تقرير أمنيستي المطول الأخير. ورغم مناشدات المنظمات الحقوقية الدولية والمحلية والإقليمية وكذلك مناشدات بعض المشايخ والمثقفين في الداخل بمحاكمتهم على الأقل أو اطلاق سراحهم، إلا أن النظام وبشخص وزير الداخلية وولي العهد الأمير نايف يصرّ على إبقاء الآلاف من المواطنين في السجن بلا محاكمة وبدون وقت محدد. وقد ظهرت في الأسابيع الماضية بعض الإعتصامات في المساجد احتجاجاً بعد أن كانت تجري أمام وزارة الداخلية، ولكن كما هي العادة اعتقلت النساء المعتصمات وهن زوجات وبنات وأمهات المعتقلين، وقبلها اعتقل المعتصمون من الرجال. لا أفق يظهر في هذا الملف حتى الآن.

لكن المدهش، أنه خلال الشهر الماضي تصاعدت حملة مضادة يقود أغلبها رجال من مباحث الداخلية، ومن يعمل معها من الكتاب، وأخذوا يسلطون الضوء على المعتقلين السعوديين في العراق، مطالبين بإطلاق سراحهم! عدد هؤلاء يتراوح بين ١٣٠-٢٠٠ شخصاً، كلهم دخلوا العراق للقيام بأعمال عنف ليس ضد الأميركيين المحتلين للعراق، بل لتفجير المفخخات في الأسواق والمساجد والمدارس والقيام باغتيالات. مع العلم انه قد قتل من السعوديين في العراق ما يقارب الف وسبعمائة شخص، كلهم وهابيون وأكثرهم قضوا انتحاراً وقتلوا معهم الآلاف من العراقيين الأبرياء. وقد قبض على القليل منهم؛ ومع هذا تريد السعودية من تسخين هذا الملف حرف الإنتباه عن المعتقلين لديها من المواطنين أنفسهم، والذين اعتقلتهم بحجة الإرهاب!

ولكن ما حجّة السعودية في المطالبة بالمعتقلين في العراق؟ انها لا تقول بأنهم ليسوا ارهابيين حسب التوصيف السعودي نفسه؛ ولكنها تريد المساومة على من لديها من عشرات المعتقلين العراقيين الذين تسللوا عبر الحدود إما لتهريب مخدرات كما تقول أو لتهريب بضائع أو حتى أغنام وما أشبه. وقد أعدمت السلطات السعودية قبل بضعة اسابيع عراقيين إثنين، في محاولة للضغط على الحكومة العراقية للقيام بتبادل معتقلين!

هي قسمة ضيزى إذن؛ مع ان السعودية لا تعترف بالنظام القائم في العراق، وهي الى جانب قطر، لم تفتح سفارتها هناك، ولا تنوي ذلك. يقول مسؤولون عراقيون بأن إطلاق سراح قتلة سعوديين ضارٌ بالعراق، وقد يعودون اليها مكرراً؛ في حين ماذا سيستفيد العراق من إطلاق سراح مهربين أو متسللين حتى وإن كان بينهم أبرياء؟

في بداية يناير الجاري زار وفد عراقي السعودية وناقش مع المسؤولين هناك موضوع تبادل السجناء، وتقول الصحافة السعودية بأن المحادثات كانت ايجابية، وألحّت الصحف على حقيقة ان الرياض مستعجلة لإتمام الصفقة!!

وجود سجناء سعوديين في العراق يمثل ادانة للحكم السعودي ولأيديولوجيته المتطرفة التي فرخت الإرهاب وموّلته في الخارج وفي الغالب لصالح النظام السعودي؛ أما وجود نفس النوعية من السجناء لديه فيمثل فرصة لإثبات أنه ضحية للإرهاب! وتسويق ذلك للأميركيين وحلفائه الغربيين الآخرين، بما يمكنه اعتقال الآلاف بحجة مكافحة الإرهاب.

التغيير في السعودية

دويل ماكمانوس

كتب دويل ماكمانوس، الصحافي في جريدة (لوس أنجلس تايمز) مقالاً في ٢٥ كانون الأول (ديسمبر) الماضي بعنوان (التغيير في السعودية) جاء فيه:

حققت النساء في السعودية إنتصاراً صغيراً هذا العام (٢٠١١) ولكنه واعدٌ. لا، لم يسمح لهم بقيادة السيارة، فذلك لا يزال ممنوعاً. غالباً، لا يستطعن العمل، والسفر، أو حتى فتح حسابات بنكية دون موافقة ولي أمر ذكر. ولكنّ بإمكانهن الحصول على هذا: تستطيع النساء السعوديات الآن شراء ملابس داخلية من المحلات فيها محاسبات نساء، بدلاً من أحياناً الرجال غير المستقيمين الذين اعتادوا توظيف المقابلين (أي الرجال). وإذا ما استمرت موجة اللبرلة المعتدلة، فقد يحظون بغرف ملائمة المقاس (fitting rooms).

قد لا تبدو لافتة على هذا النحو، ولكن في عملية التحديث الجامدة في المملكة ذات الصلة بالتقاليد، فإنها خطوة هامة. (إنها بداية التغيير الاجتماعي الحقيقي)، بحسب إيمان نفيجان، وهي واحدة من الجيل الجديد من الناشطات السعوديات، وقد أخبرتني بذلك خلال تناول القهوى في الرياض، العاصمة، الاسبوع الفائت. وتضيف (سيسمح ـ القانون الجديد ـ للمزيد من النساء بالعمل في الأسواق التجارية. وأن تلك خطوة باتجاه المزيد من الفرص لتوظيف النساء بصورة عامة).

لم يكن من السهل الحصول على حق بيع الملابس الداخلية. فقد كان تمّت مناقشة هذا التغيير منذ العام ٢٠٠٥، ولكن عارضه المحافظون الرافضون للسماح للمرأة بالعمل خارج المنزل ـ رغم ذلك، في هذه الحالة، فإن هذا المنع أرغم المرأة على المساومة مع الرجال على أسعار الصدريّة والكيلوت (الملابس الداخلية للنساء). وقد تغيّر القانون فقط بعد أن أمضت النساء عامين يحرضّن عبر حملة (فيسبوك) تدعى (كفى إحراجا)، وبعد ما تشجّع وزير العمل على تطبيق مرسوم من الملك عبد الله (قد تعتقد بأن لدى الملك أشياء أخرى للقيام بها، ولكن المرسوم الملكي هو السبيل الوحيد ذي أهمية لتحقيق التغيير في شيء بالغ الأهمية في السعودية).

هذا هو الكيان الصغير، حسب نفيجان، لكيفية تحسّن الحياة بالنسبة للنساء في السعودية: ببطء، وليست قاطعة على الأطلاق. بحسب التوصيفات السعودية، فإن عبد الله يعتبر تحديثياً، فقد طوّر تعليم المرأة، بما يشمل آلاف من البعثات الجامعية في الولايات المتحدة، وقد وعد أيضاً ببدء تعيين النساء في مجلس الشورى المعيّن ـ ولكن ليس قبل عام ٢٠١٣ (ليس هناك سلطة تشريعية منتخبة). وحتى الآن، كل خطوة صغيرة للأمام، تحرّض على مقاومة شرسة من التقلديين، بمن فيهم علماء الدين الذين يحذّرون بأن التغيير غير ديني وأن النساء المحافظات اللاتي يقلن

كسبت حركة النساء السعوديات الاهتمام الدولي حين جرى اعتقال خمس نساء على الأقل لتجرؤهن على قيادة سياراتهن في مدن البلاد

بأنهن يحببن الطرق القديمة هن أفضل.

النقاش يتواصل حتى في داخل عائلة نفيجان، وهي عائلة مرتخية ولكنها ليست ثريّة في الطبقة الوسطى العليا في الرياض. فعمّها المحافظ غاضب عليها كونها تتحدث أمام الملأ العام وقد طالبها بالتوقّف. (يقول بأنه سيجعلنا جميعاً منبوذين، ولكن والدي وإخواني يقفون إلى جانبي)، حسب قولها.

بدأت نفيجان، ٣٣ عاماً، التدوين باللغة الانجليزية قبل سنوات قليلة (saudiwoman's Weblog) أو (www.saudiwoman.me)، والتي



تعكس اهتمامات المتعلّمات، وخصوصاً النساء السعوديات الناشطات الى الجمهور العالمي. وقد كتبت عن الحقوق الأساسية (لاتزال النساء السعوديات غير قادرات على التصويت)، وزواج الأطفال (في المناطق الريفية، البنات في أعمار ٨ سنوات قد يعطين لرجال طاعنين في السن للزواج بهن)، وقضايا على صلة بالحياة اليومية، مثل قيادة السيارة والتسوّق (والدي يفضّل أن أدوّن عن الطبخ السعودي)، تقول ذلك على سبيل الفكاهة وهي تضحك.

مشت الى بهو الفندق للقاء بي وهي ترتدي عباءة سوداء، وهي القماشة التي تغطي الجسد من الرأس الى القدم تضعها النساء السعوديات في الحياة العامة، وكذلك الإشارب الذي يغطي معظم إن لم يكن كل شعرها. وقد جاءت بصحبة أخيها خالد، الذي جاء ببشاشة كسائق ووخادم. وقال إنه يدعم نشاطها. وقال (كل تلك القيود المفروضة على النساء هي حماقات). زوجها، مهندس اتصالات، يدعم هو الآخر مواقفها، حسب قولها. لديها أطفال ثلاثة، وتدرّس اللغة الانجليزية، وتقوم بإكمال العمل في مرحلة الدكتوراه في اللسانيات.

كسبت حركة النساء السعوديات الاهتمام الدولي في يونيو الماضي حين جرى اعتقال خمس نساء على الأقل لتجروْهم على قيادة سياراتهن في مدن البلاد: (نفيجان، التي لم تتعلّم على قيادة السيارة مطلقاً، قامت بتصوير حركة الإحتجاج تلك كمرافقة في سيارة صديقة). ولكن قيادة السيارة لم تكن الشيء الرئيسي الذي جعل

الحكومة غاضبة (قيادة السيارة من قبل النساء محتمل في المناطق الريفية)، ولكنه تحدي الضوضاء، والاحتجاج الذي حظي برواج واسع.
قضية قيادة السيارة أصبحت مملّة قليلاً حسب نفيجان: (إن الحظر سيتغيّر في أحد الأيام، أنا متأكّدة من ذلك. ولكن في الوقت الراهن، فهن سعيدات بأن ما يطالبن به هو قيادة السيارة بدلاً من إسقاط الحكومة).
الأكثر أهمية من قيادة السيارة، حسب قولها، هي قضايا مثل الحقوق القانونية الأساسية (شهادة المرأة في المحاكم لها نصف وزن شهادة الرجل)، التوظيف (لا يزال يمنع على النساء الأعمال التي يجب فيها عليهن الإختلاط بالرجال ـ باستثناء التدريس، والتطبيب، والآن، عمل المبيعات في محلات نساء)، والممارسة الريفية المستمرة بإرغام البنات اليافعات على الزواج. تقول نفيجان (إنها غير مقبولة إجتماعياً لمعظم السعوديين، ولكن إنه تقليد، وإن هناك الكثير من المقاومة لاعتباره غير قانوني).
هل يعني ذلك أن المرأة المدينية التحديثية في السعودية تريد نبذ الملكية ـ النظام البطريركي النهائي ـ والهرولة نحو الديمقراطية؟ على النقيض تماماً. (ثورة مثل تلك التي حدثت في مصر وتونس ستكون السيناريو الأسوأ هنا، حسب نفيجان. (معظم السعوديين هم محافظون. وإن الانتفاضة الشعبية هنا ستجعل المحاربين السلفيين بمثابة ليبراليين. وسنتحوّل نحن الى طالبان).
إذا كانت على حق، فإن الليبراليين، الديمقراطيين، التحديثيين الثقافيين في البلاد يقعون في مصيدة في مأزق غريب بالإعتماد على ملك يبلغ من العمر ٨٧ عاماً وخلفائه الذكور للحماية. أفضل السيناريوهات، حسب قولها، سيكون من أجل جناح تقدّمي في العائلة المالكة للوصول الى السلطة حال رحيل عبد الله، رجال سوف يواصلون تحريك الاقتصاد السعودي الى القرن الحادي والعشرين فيما يحافظون على بقاء سياسة البلاد متجذّرة بقوة في القرن السابع. ولكن ليس هناك ضمانات؛ ووريث العرش، ولي العهد الأمير نايف، ٧٨ عاماً، ينظر إليه بوصفه محافظاً ـ وكما يبدو في وضع صحي جيد.

حصلت النساء على التغيير في محلات الملابس الداخلية! وفي هذا الوقت من العام القادم قد يسمح لهن بقيادة السيارة!!

في غضون ذلك، وكما تقول نفيجان، فإن نساء السعودية سوف يحافظون على تنظيم أنفسهن عبر جلسات القهوة الخاصة وغرف المحادثة على شبكة الانترنت. (لا يمكننا أن نشكّل إتحاداً، فذلك غير قانوني) حسب قولها.
وسوف يرحبون جميعاً بالإهتمام الأجنبي الذي بإمكانهم الحصول عليه، كما حصل خلال مسيرة الاحتجاج بقيادة السيارة ليوم واحد في شهر يونيو الماضي.
تقول نفيجان (حين يحدث الأجانب ضجيجاً حول حقوق النساء، فذلك أمر حسن، لأن من غير المسموح لنا فعل ذلك)، وتضيف (كلما كانت القضية أكثر إحراجاً للحكومة، كلما كان من المحتمل حلّها). بعد كل ذلك، فقد حصلت النساء على ذلك التغيير في محلات الملابس الداخلية. وفي هذا الوقت من العام القادم، كما نأمل، قد يسمح لهن بقيادة السيارة.

تسلّح حتى الأسنان

صفقة جديدة مع أمريكا بثلاثين مليار ريال أبرمها آل سعود مؤخراً؛ وهناك أخرى بنفس الحجم سيعلن عنها هذا الشهر! فيما ذهب رئيس وزراء بريطانيا مسرعاً للرياض لعله يحصل على شيء من الأموال السعودية السائبة.
ما هذه الإمبراطورية العظمى المتعطشة الى الأسلحة؟! أكوام هائلة من الأسلحة، من آخر ما أنتجته المصانع الغربية تتدفق على السعودية، وكأن الأخيرة في حرب مع اسرائيل، أو كانت في يوم ما في حرب مع اسرائيل، أو أنها تتعرض لتهديدات خطيرة مصيرية إقليمياً، أو كأنها قادرة على استيعاب هذا الكم الهائل من الأسلحة في حين أن جيشها لا يزيد عن مائة ألف جندي متكرّش غير قادر حتى على التصويب.
أمرٌ مدهشٌ وعجيب حقاً. عشرات المليارات تتدفق خلال الأعوام الماضية باتجاه الغرب، فيما ٣٠٪ من الشعب يعيشون تحت مستوى الفقر، وأكثر من مليوني عاطل عن العمل سجلوا ضمن مشروع (حافز) كما تقول الإحصاءات الحكومية.
مليارات تنفق، والشعب يُفقر، في معادلة يعجب منها من يعجب، ويضحك منها من يضحك.. حتى أن التحذيرات بدأت تتزايد من انكماش الطبقة الوسطى وتخلخلها ما يفضي الى مشكلات اجتماعية وسياسية عاصفة!
الإنفاق على التسلح، وبشكل اسطوري، كما واردات النفط نفسها، لم تحل مشكلة المواطن الحالم بمدرسة نظيفة يدرس بها أبناؤه، فلا زالت المدارس بيوتاً مستأجرة، تتساقط أحجارها على رؤوس الطلاب، أو تحترق وطلابها لأتفه الأسباب، في حين يتبرع المواطنون لها بأجهزة التبريد وبكلفة الصيانة! ولم تحل مشكلة المواطن في مستشفى حكومي لا تنطبق عليه مواصفات (مجازر الحيوانات)!
هل نحن في بنغلاديش أو الصومال؟! هل نحن على خط النار، ونحن لا نشعر؟! من يهددنا ونحن لا نشعر؟ من هو هذا العدو الذي أطلق روع العائلة المالكة الى عنان السماء، فراح الأمراء يندفعون على السلاح وهم ليسوا أهلاً لحمله؟!
في كل يوم تسجل لنا أرقام غينيس أضخم صفقات السلاح، وكأن السعودية اللاعب والمنافس الوحيد لنفسها! فهي كل عام تسجل رقماً أعلى مما سبقه، حتى ليخيل اليك أن السعودية صارت دولة عظمى، أو دولة إقليمية قادرة على قهر إسرائيل، في حين أن مراكز الدراسات الإستراتيجية تضعها دون مستوى (اليمن)! نعم دون مستوى اليمن عسكرياً!
هذا موسم قطف الأموال السعودية.. موسم الجنون الملكي السعودي.. موسم التفريط بالثروة الوطنية.. موسم تباع فيه الأسلحة للسعودية باعتبارها أرخص وأسهل وأسرع وسيلة لجني الأرباح، وجني الأموال عبر الرشاوى للأمراء.
كلما زادت إيرادات النفط، كلما زاد اللصوص، وزادت الصفقات الجنونية، وزاد (الخطر الموهوم) على السعودية، مع أن الأخيرة محمية غربية، وبقرار غربي، لن يسمح لأحد بالتقرب منها. فلماذا السلاح، إذا كان آل سعود سيدفعون ثمن حمايتهم لأميركا، ومادامت أميركا تحميهم بسلاحها ورجالها؟!

السلاح في ليبيا تحت ظلال مشايخ الصحوة!

نشر موقع الشيخ سلمان العودة (الإسلام اليوم) في ١ كانون الثاني (يناير) الجاري رسالة لمفتي ليبيا الشيخ صادق بن عبد الرحمن الغرياني يدعوه فيها لمخاطبة العناصر المسلّحة بتسليم السلاح إلى الدولة، وقال (أن السلاح الآن هو في أيدي الناس أكثر منه في يد الدولة، وبعض الشباب يتحلقون حول منهج الجرح والتعديل في العلماء، وتنقّصهم والتحذير منهم). وأوضح الغرياني (أن هؤلاء الشباب يتلقون هذا المنهج عن شيوخ، بعضهم في السعودية، وبعضهم في بلاد أخرى، ويقولون: إن القول في العلم قولهم، ولا يعتدُّون بمن خالفهم – أيًّا ما كان قدره في العلم). ومن بين ما نقله الغرياني عن هؤلاء الشباب من أفكار استمدوها من مشايخ الصحوة قولهم (عن أنفسهم إنهم في المنهج معصومون، ولا يخطئون، وإن ليبيا ليس بها علماء؛ لأن علماءها حسب هذا المنهج (المعصوم) الذي يدّعونه– مجَرَّحون من قبل أشياخهم).


المفتي صادق الغرياني

وأضاف الشيخ الغرياني: (إن من أعمال هذه الجماعة أن ما تراه منكرًا في نظرها لا تتردد في تغييره بقوة السلاح، ومنهم من يرسل بالجوال رسائل تهديد لعدد من أهل العلم، الذين أحسبهم على السنة، ومنهم من يُداهم من يشتبهون في أمره بارتكاب كبيرة السحر ونحوه، بعد خطفه من بيته وتعذيبه، وقد يقيمون عليه الحد بأنفسهم، وهو ربما كان بريئًا مما رُمي به، وكل ذلك باسم العمل بالكتاب والسنة، ومن المعلوم أن إقامة الحدود من اختصاص الحكّام دون غيرهم).

وحذّر من تزايد عدد هؤلاء الشباب من صغار السن، الذي ينضمون إليهم تحت الشعار الذي يستهوي كل مسلم (الكتاب والسنة). وقال بأنهم (لا يزالون يثقون في علماء المملكة..)، مطالبًا إياهم بأن (يحيلوا من يستفتونهم من هؤلاء الشاب في ليبيا إلى علماء بلدهم)، موضحاً بأن (هذا سَيَرْجِع على هؤلاء الصغار من الشباب بالخير الكثير، ويعود بهم إلى الجادة، ويُرجع إليهم ثقتهم في علمائهم..).

من جانبه، وعد الشيخ سلمان العودة بإرسال مناشدات متكرّرة الى الشباب وحثهم على (تجنب استخدام القوة في نشر المنهج..)، واقترح العودة (أن تقوم الدولة بشراء السلاح من الناس بسعر مغرٍ، ومنح مكافآت لمن يدلون على مخازنه ومخابئه).

الجدير بالذكر أن الشيخ العودة كان من بين مشايخ الصحوة السعوديين الذي دعاهم النظام الليبي السابق بقيادة العقيد القذافي للوساطة مع عناصر (الجماعة المؤمنة) المسلّحة في السجن، باعتبار أن هؤلاء يستمدون أفكارهم في الجهاد والولاء والبراء من مشايخ السعودية، من بينهم الشيخ سلمان العودة والشيخ سفر الحوالي والشيخ ناصر العمر وغيرهم.

حمد بن جاسم:

النظام السعودي ساقط لا محالة على يدنا

نشر موقع اليوتيوب الشهر الفائت كانون الأول (ديسمبر)، مكالمة صوتية لرئيس الوزراء ووزير الخارجية القطري حمد بن جاسم بن جبر آل ثاني مع العقيد القذافي يرجّح أن تكون قبل الربيع العربي بفترة وجيزة، قال فيها: (أن النظام السعودي ساقط لا محالة على يدي قطر). وأوضح حمد بن جاسم (أن قطر ستدخل يوماً إلى القطيف والشرقية وتقسم السعودية، فالنظام هرم، والملك عبد الله مسكين ومجرد واجهة، ولا أمل في الجيش السعودي لإحداث تغيير).

وكشف حمد بن جاسم عن طلب استخباري أميركي وبريطاني لتقييم الوضع في السعودية، وأعربتا أجهزة الاستخبارات الأميركية والبريطانية عن نيتها بالخلاص من النظام والإطاحة به، لكنهما يخشيان من حكم إسلاميين غير مرغوبين، ولذلك فإن قطر تستأثر الآن بالتميّز (وهي استطاعت أن تسحب الإمتياز من السعودية، ونقل القواعد الأميركية إليها، كما استطاعت أن تكسر احتكار وهيمنة السعودية تدريجياً، وأن تفرض نفسها على المنطقة العربية). وقال بأن قطر (تشتغل على ضرب السعودية اقتصادياً وسياسياً، وإن هناك ثورة شعبية وشيكة). وقيل بأن خلافات نشبت بين الميليشات الليبية فيما بينها بسبب تنافس الرياض والدوحة على ولاء الميليشيات.

الجدير بالذكر أن الأمير طلال بن عبد العزيز، عضو هيئة البيعة السابق، قد كشف، بحسب مصادر خبرية في القاهرة في ٦ كانون الأول (ديسمبر) الماضي عن أن (أبناء آل ثاني سيقومون في مرحلة لاحقة بمحاولات لتقسيم المملكة السعودية وحشر آل سعود في دويلة (مكة والمدينة)، واقتلاع جزء من المملكة على حدود الأردن لتوطين اللاجئين الفلسطينيين. وذكرت شخصية عربية كانت حاضرة اللقاء مع الأمير طلال في منزله بالقاهرة أن الأخير (أبلغ دولاً في مجلس التعاون الخليجي بتآمر قطر عليها وحذرها من خطوات يجري التخطيط لها لضرب الاستقرار في ساحاتها).

وكانت الولايات المتحدة قد استمزجت رأي قادة دول الخليج في عام ٢٠٠٧ حول تقسيم السعودية، فأيّدوا كلّهم الأمر عدا البحرين.

بين الأب والخال وزوج الأم وجعجع

أبدى كاتب العمود في صحيفة (الوطن) الكويتية فؤاد الهاشم في مقالة بعنوان (الأب) المصري و(الخال) السعودي) نشرت في ٢٨ كانون الأول (ديسمبر) الماضي، دهشته عن غياب الخال السعودي دون أسباب واضحة، وقال: (لم أستطع أن أفهم – حتى الآن – لماذا آثرت الرياض الابتعاد عن المساهمة في لملمة تلك البراكين والنيران التي ثارت واشتعلت في العالم العربي، خاصة بعد غياب مصر عن قيادة إخوتها من المغرب الى البحرين؟). وقال إذا كانت القاهرة هي الأب، فإن الرياض هي «الخال» الذي يشارك الوالد في رعاية البقية وينيب عنه حين تشتد الكوارث وتزداد.. الخطوب!!.


جعجع ونايف ولي العهد

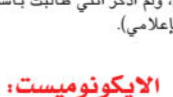
في سياق شبه متّصل، ذكر الهاشم خبراً خاصاً مفاده أن (زعيم القوات اللبنانية سمير جعجع طلب من السعودية – خلال زيارته الحالية للرياض – مبلغ «٥٠» مليون دولار من أجل تجهيز حملة إعلامية ضخمة تكشف المجازر التي يرتكبها نظام بشار..).

تجدر الإشارة أن جعجع متهم بالتعامل مع اسرائيل، وأنه قام بتصفية العديد من القيادات اللبنانية، وفي مقدمتهم رئيس الوزراء رشيد كرامي.

جورج قرداحي:

قناة (العربية) متواطئة مع إسرائيل

إتّهم مقدّم برنامج المسابقات المعروف جورج قرداحي قنوات فضائية عربية ومنها قناة (العربية) بالتواطؤ مع إسرائيل ضد سورية، البلد وليس النظام، مؤكّداً (أنه لايتعاطى مع الأنظمة). وسئل قرداحي خلال مقابلة مع صحيفة (الرأي الكويتية) في ٢٦ كانون الأول (ديسمبر) الماضي عمّا إذا كانت سورية مستهدفة من القنوات العربية، فأجاب إن (بعض القنوات الفضائية العربية، ومنها قناة (العربية) الإخبارية التابعة لشبكة إم بي سي، متّهمة بالتواطؤ مع إسرائيل ضد سورية)، وقال (أنا صرحت لقناة مدافعة عن النظام السوري بأن سورية ستنتصر على تلك المؤامرات التي تحاك ضدها بفضل قيادتها الحكيمة، وسيخرج النظام السوري من هذا الوضع أكثر قوة



وصلابة، ورفضت إراقة نقطة دم واحدة في سورية، وطالبت بضرورة السماح للاحتجاجات السلمية ونشر الديموقراطية وحقوق الإنسان وتداول السلطة).

وعن إتهامه بمساندة النظام السوري قال قرداحي: (إتّصل بي التلفزيون السوري عندما بدأت الثورة في درعا، لكي أقوم بالتعليق على ما حدث، وقلت إني فعلا أخشى على سورية لأنها معرّضة لمؤامرة الهدف منها تفتيت وحدتها واستقرارها وسيكون ذلك كارثة ليست على سورية فقط، لكن على بلاد الشام ودول الخليج، ولم أذكر أنني طالبت باستمرار النظام السوري لأن الموضوع لا يتعلق بي كإعلامي).

الايكونوميست:

السعودية خامس أسوأ دولة ديمقراطياً

أصدرت وحدة الأبحاث التابعة لمجلة الإيكونوميست نهاية العام المنصرم (٢٠١١) تقريرها السنوي والذي يحدد تصنيف دول العالم البالغ عددها ١٦٧ دولة على مستوى الديمقراطية. جاء عنوان التقرير (ديمقراطية تحت الضغط) ليحدد بأن ثلث دول العالم تعيش في ظل أنظمة تسلطية وتشكل ٣٧،٩٪ من سكان العالم.

معايير "إيكونوميست إنتلجنس" لتصنيف الديمقراطية هي: الانتخابات، التعددية، الحريات المدنية، المشاركة السياسية، الثقافة السياسية، قدرة الحكومة على أداء مهامها. وتعتبر هذه المعايير بالغة الدقة لاختبار مدى التزام دول العالم بهذه المعايير. وكان تصنيف الدول الديموقراطية لـ "الإكونوميست إنتلجنس" وفق النسب التالي: نسبة الدول الديمقراطية الكاملة ١١،٣٪في العالم والنصف ديمقراطية ٣٧،١٪ والمختلطة ١٤٪ والسلطوية ٣٧،٦٪. وقد جاءت السعودية في المرتبة الخامسة من حيث أسوأ دول العالم في الالتزام بالمعايير الديمقراطية، وكانت سورية التي تواجه هجمة دولية حالياً أفضل رتبة منها.

وبالنظر للأرقام الدقيقة يمكن أن نقول أن السعودية – بناءاً على التقرير – هي خامس أسوء دولة في العالم مكرر.

ووتش:

السعودية ليست بمنأى عن الربيع العربي

طالبت منظمة هيومان رايتس ووتش المعنية بحقوق الإنسان وزارة الداخلية السعودية بإطلاق سراح العشرات من المحتجزين والمدانين من دعاة الإصلاح المسالمين، مؤكدة أن المملكة ليست محصّنة ضد الربيع العربي.

وقالت المنظمة في بيان صدر في ٣٠ كانون الأول (ديسمبر) الماضي، إن دعاة الإصلاح في السعودية تمكنوا من القيام باحتجاجات عدّة في المملكة منذ منتصف شهر كانون الأول/ديسمبر رغم الحظر الذي فرضته السلطات على هذه الأنشطة منذ منتصف آذار/مارس الماضي.

وأضافت المنظمة أن قوات الأمن في كل من العاصمة الرياض وبريدة والقطيف كانت على الفور تعتقل المتظاهرين ممن كانوا يحتجون على اعتقال المئات في سجون الإستخبارات لمدد طويلة دون محاكمة.

وقال كريستوفر ويلكي الباحث في شؤون الشرق الأوسط في المنظمة إن (ممارسة الحق الإنساني الأساسي في الإحتجاج بطريقة سلمية تزداد أهميته في مكان كالسعودية حيث لا تكاد توجد أي وسيلة أخرى للمساهمة في الحياة العامة).

وقال البيان إن قوات الأمن السعودية إعتقلت في ٢٣ كانون الأول ديسمبر) حولي ٣٠ رجلاً و٣٠ إمرأة شاركوا في احتجاج صامت بالرياض، وذلك نقلا عن أحد المشاركين في الإحتجاج الذي كان يطالب بشكل خاص بإطلاق سراح رجل الدين الدكتور يوسف الأحمد.

وكان الأحمد قد اعتقل في تموز/يوليو الماضي بعد إرسال (تغريدة) عبر موقع التواصل الاجتماعي "تويتر" أعرب فيها عن دعمه لأقارب المعتقلين منذ فترة طويلة.

واضافت المنظمة أن أكثر من ١٠٠ إمرأة وعشرات الرجال تظاهروا أيضاً في ١٦ كانون الأول في العاصمة، وفي البريدة عاصمة محافظة القصيم شمال الرياض مطالبين بالإفراج عن المعتقلين منذ زمن او محاكمتهم.

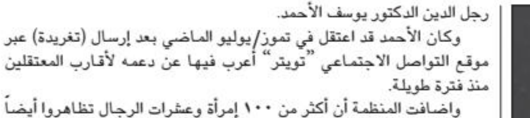
وأشارت هيومان رايتس ووتش إلى أن مجموعة من دعاة الإصلاح السياسي المعروفين بنشاطاتهم عامي ٢٠٠٣ و٢٠٠٤ قد أصدروا بياناً بعنوان (٢٠ توصية لمضاعفة نجاح المظاهرات) حول كيفية تنظيم الإحتجاجات التي يؤكدون على أنها تهدف إلى إصلاح النظام الملكي لا إسقاطه.

ونقلت المنظمة عن أحد الناشطين قوله إن السلطات إمتنعت عن اعتقال الثلاثة واضعي بيان التوصيات أو الموقّعين عليه (لأن ذلك كان علنياً وستكون تكلفته باهظة الثمن).

الشيخ السدلان:

عضو هيئة كبار علماء و(معقّب)!

الشيخ صالح السدلان عضو هيئة كبار العلماء و عضو هيئة التدريس في جامعة الأمام محمد بن سعود في الرياض يعمل بوظيفة جانبية كوكيل شرعي (معقب) لدى أحدى بنات الأمير الراحل سلطان بن عبدالعزيز. وفيما يلي نص الوكالة:



صك وكالة خاصة

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبينا محمد وبعد

فلدي أنا/أحمد بن يحي خضر الزهراني، كاتب العدل في كتابة العدل الثانية شمال محافظة جدة حضر محمد بن عبد الله بن محمد اليزيدي العسيري، سعودي ـ بموجب سجل مدني رقم ١٠٠٢٢٤٨٣٩٩ وكيلا عن سمو الأميرة البندري بنت سلطان بن عبد العزيز آل سعود بالوكالة رقم ٣١٠٥٠٨٠٠٧٥٠٥ في ١٤٢٩/١١/١٠هـ والصادرة من كتابة العدل بمحافظة الخرج. وقرّر بقوله أنني أقمت فضيلة الشيخ صالح بن غانم بن عبد الله السدلان وحمد بن بطيان بن عنية الله الروقي ـ سعودي الجنسية ـ وكيلين ينوبا عن موكلتي في مراجعة الدوائر الحكومية والشرعية والإدارية ومنها المحاكم وكتابات العدل والأمانات والبلديات ووزارة الشؤون البلدية والقروية وأي جهة أخرى ذات العلاقة وإنهاء المعاملات الخاصة بالصك العائد لموكلتي رقم الصك ١١٨٤ في ١٣٩٦/٣/١هـ جلد رقم ٨/٦ والصادر من كتابة العدل الأولي بجدة ولهم حق التفاوض والتسوية وإنهاء ما يلزم والتوقيع وكالة خاصة فيما ذكر وعليه جرى التصديق والتوقيع تحريراً في ١٤٣١/١٢/٩٢هـ وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

كاتب العدل

أحمد بن يحي خضر الزهراني

الختم الرسمي: وزارة العدل

(أولو الأمر) والمعارضة

عبد الوهاب فقي

ليست لدينا في المملكة تجارب سياسية راسخة في المعارضة كما في الحكم؛ و(أولو الأمر!) يعتقدون بأن وجود من يختلف معهم طامة كبرى، ولا يريدون أن يمهلوا أحداً كما أمهل الله إبليس الى يوم يبعثون! بل يريدون محاسبته هنا! هناك نرجسية لدى (أولي الأمر) في موقفهم تجاه من يعارضهم، مع أنه لا يشرف نظاماً أن يقال بأن ليس له من يختلف معه في الرأي. بل هناك من الأمراء والمشائخ السلفيين من يرى سب الذات الإلهية أهون عليه من التعرّض للحاكم بالنقد.

السياسة عندنا شأن خاص خلاف كل الدنيا. فمن يتعاطاها هم محدودون ولا يجب أن يتحدث فيها أحد أو ينقاشها أحد أو أن يعتبر أحدنا نفسه معني بما يجري له وما يقرر له. فالشيوخ أبخص، وهم لا يريدون أن يتسيس الناس ولا أن يتعاطوا الشأن العام. حتى المظاهرة المؤيدة لا يريدونها، وحتى النقد البسيط لا يتحملونه، وحتى الكتابة على الحيطان يسجن المئات ولا نقول العشرات بسببها، بل أنه في مناطق كالشرقية يطلقون النار على من يكتب الشعارات المعارضة على الجدران. وحتى الكتاب والمنشور يصبح جريمة كبرى وتآمراً (على الوطن!).

حين نأتي لكلمة معارضة فإنها تعني أموراً مختلفة. الحزب المعارض في الغرب مثلاً يعني أنه يشكل حكومة أي يحل محل سابقتها، أي يغيرها. عندنا المعارضات لا تستهدف تغيير الحكومة بالضرورة، ولذا فهي من نوع مختلف، نستطيع أن نسمّيه ـ حسب المفهوم الغربي ـ قوى ضغط، أي جماعات ضغط أو جماعات مصالح، أي جماعات تعبر عن مصالح معينة وليست بالضرورة مصالح كامل أفراد الوطن.

وكلمة (مختلف) أدقّ في توصيف الوضع الحالي من كلمة (معارض). والمعارض لا يعارض الحكومة في كل شيء، وإنما في المختلف فيه والذي بان عواره، والمسألة في الأخير مسألة رأي، ولذا اعتبر السجناء السياسيون سجناء ضمير ورأي. وحتى المختلف بالمفهوم السعودي يعتبر متآمراً يريد قلب النظام ويريد استبدال الحكم، وغير ذلك، وبالتالي يجري عليه القمع: الطرد من الوظيفة؛ والسجن؛ والمنع من الكتابة؛ والمنع من السفر.

إن وجود المختلف أو المعارض من سنن الكون. إن لم تنتظم ـ كما فعل الغربيون عبر صناديق الإقتراع ـ فإن الحكم عندنا يكون لمن غلب، فيصبح التمجيد بالسيف الأملح الذي عادة ما يلوّح به أمراء آل سعود لخصومهم: (أخذناه بالسيف، والسيف لازال بيدنا)؛ وبذا يحق للمواطن أن يتوسل بالسيف نفسه أو بمنطق ملك الآباء والأجداد!

لذا شاع لدينا حكم الغلبة والوراثة والإنقلابات العسكرية، وشاع لدينا القمع والإرهاب، وشاعت عندنا دون غيرنا تهم لم ينزل الله بها من سلطان ومعيبة لكل نظام قاهر، وصار لدينا (سجناء سياسيون، ومعتقلون سياسيون)؛ فهل هي جريمة أن تشتغل بالسياسة فتعتقل لأن لديك رأيا مخالفاً، وأن تُنفى من وطنك اختياراً أو اضطراراً لكي تقول كلمة قد تكون كلمة حق؟!

المعارضة في المملكة أنواع: منها من يريد تغيير النظام السياسي، وقد وجد في الخمسينيات والستينات والسبعينات، وقد حاولته أحزاب يسارية وقومية بعثية وناصرية. وجاء جهيمان أيضاً كمعارضة مسلحة وليس كمن هم قبله عبر تدبير انقلابات فاشلة، وفشل في الإطاحة بالنظام. ومنها معارضات أخرى بعضها سلمي يريد تدرجاً في الإصلاح، وبعضها يريد تغييراً جذرياً للنظام. ومنها ماهو بمعارضة أصلاً، وإنما مطالبات عبر البيانات بإصلاحات معيّنة، دونما ممارسة ضغط من الشارع أو غيره.

ولكن ما يهمنا هنا هو أن نؤكد على حق المواطن في أن يشتغل بالسياسة لا أن يكون خروفاً في قطيع.

ونؤكد على أن إقحامه في السياسة أهم ـ بالنسبة لأي دولة ـ من إبعاده منها.

وعلى أن لنا كمواطنين الحق في اختيار من يحكمنا وفي النظام الذي يسيرنا. أما إذا كنا دجاجاً فسنكون على دين ملوكنا: نسمع وقد لا نسمع، نطيع وقد لا نطيع، نصدق وقد لا نصدق، وما نظهره غير ما نبطنه، خشية العصا أو رجاء الجزرة، أو لا إبالية منا.

حينها لا يأتينّ أحدٌ ويقول للمواطن: تعال دافع عن وطنك وعن حكم آل سعود! ولا أن يقنعه بأنه محسود ومهدد من الاخرين.. الخ.

أعطني حقي في قول كلمتي واختيار من يمثلني واحكمني بما يرضيني (كمجموع) وخذ حقك كحاكم، عليك مني واجب الطاعة.

ليس في عنقنا بيعة بالإكراه، وليس في عنقنا إلزاماً أو التزاماً لأحد نزى على الحكم بالوراثة أو بالقوة!

نعم.. بدون معارضة يكون الوطن قطعة قماش واحدة لا لون لها ولا طعم ولا رائحة. تجد الرأي الواحد، والفكر الواحد، والحاكم الأوحد الملهم والعبقري، وتجد لدينا (الأفضل والأحسن والأعظم واخر تقليعات أفعل التفضيل) نطلقها على كل ما لدينا سواء كان يستحق أم لا يستحق.

بدون معارضة يكثر الفساد وتكمم الأفواه ويخاف الحاكم كما المحكوم، وينبطح الحاكم للأجنبي خوفاً من شعبه، وتسلم قرارات ومستقبل الأجيال للأجنبي.

لا يوجد بلد ليس فيه معارضة. المهم شرعنتها ضمن القانون.

انك لو أجريت استفتاء على وجود الحق لما حصل على مائة بالمائة، فهناك ملاحدة لا بوجوده تعالى الله عما يقولون. فما بال آل سعود يريدون منا أن نعتبرهم آلهة من دون الله تعبد وتمجد وتخرس الألسن من أجلها؟

ما بالنا ما أن يظهر شخص يسعى للإصلاح حتى يتهم بالعمالة والخيانة والتآمر؟ في حين كان الأولى أن يتهم من يزعمون أنهم أولي الأمر بخيانة الأمانة والتفريط بحقوق المواطنين وبيع مستقبل الأجيال للأجانب من أجل البقاء على الكرسي؟

نحن لا ندافع عن معارضة بعينها، بل عن حق المعارضة في الوجود وحقها في الإختلاف في الرأي. والحاكم في بلدنا أقوى بالإنتخاب وبوجود المعارضة منه بتكميم الأفواه وتطفيش المواطنين خارج الحدود وسحب جنيسياتهم! ثم اتهامهم بالعمالة والتآمر بل والإرهاب أيضاً، متناسياً أن إرهابه وعمالته هما وراء كل هذا!

إن بلداً كالسعودية، لا توجد به آراء مختلفة، وطموحات تنظم ضمن قوالب قانونية، هو بلد غير مستقر، ولازال أمامنا الوقت لنسمع المزيد من الإنفجارات الإجتماعية السياسية. حينها يتأكد لآل سعود أن هناك معارضة غير سلمية هذه المرّة، بل معارضة عنيفة وحادّة.

٢٠١٢: عام الثورة المضادة

السعودية وتركيا لحماية إسرائيل!

عمر المالكي

كتب ليون هادار، محلل الشؤون الدولية، والصحافي، والمدّون، والمؤلف مقالاً في ٣٠ كانون الأول (ديسمبر)، نشر في صحيفة (سينجابور بيزنس تايمز)، قبل أن يعاد نشرها في مواقع أخرى من بينها (ريلكليروورد). قال هادار بأن العام المنصرم كان عام المتظاهر، حسب مجدلة التايم. فالإنبعاث الجماهيري الذي استهدف النخب السياسية الحاكمة في كل من تونس أولاً، ومن ثم في مصر، وليبيا، وسوريا، واليمن، والبحرين لم يقتصر على الشرق الأوسط. فقد أخذت التظاهرات مكانها في أسبانيا، واليونان، وايطاليا، وفرنسا، وبريطانيا، واسرائيل. وفي الولايات المتحدة، بدأ متظاهرو (احتلوا وول ستريت) بالتظاهر أولاً في نيويورك، ومن ثم في واشنطن، وشيكاغو، ومدن أخرى في البلاد.

الانتفاضات العالمية في العام ٢٠١١ ضد الأوضاع القائمة جرت مقارنتها بالثورات التي انتشرت عبر أوروبا في العام ١٨٤٨، حيث سعى الاشتراكيون في الطبقة العاملة وليبراليو الطبقة الوسطى في باريس، ميلان، فيينا، براغ، بودابست وبرلين بإسقاط الأنظمة القديمة.

وفي الواقع، ليس كهيئة ربيع الأمم سنة ١٨٤٨، فإن الربيع العربي والتظاهرات المتصاعدة في حديقة زوكوتي بنيويورك أو شارع روتشيلد في تل أبيب قد رفعت من توقّعات التغيير وتدشين نظام جديدة قائم على مبادىء الحرية والمساواة.

ولكن بالافادة من الإدراك المتأخر، فإن ثورات ١٨٤٨ كان ينظر إليها بكونها فاشلة. وأن النظام السياسي والإجتماعي القديم بقي حاكماً. ولذلك من المحتمل أن ثورات ٢٠١١ قد تواجه بعض خيبات الأمل في العام ٢٠١٢ وحين يبدأ عناصر النظام القديم بالهجوم المضاد لحماية الوضع القائم، تماماً كما حصل بالنسبة للثورات المضادة في العام ١٨٤٩.

بالطبع، فإن التاريخ لا يعيد نفسه. ولكن بعض الأسباب التي قادت الى نضوب الزخم الثوري في أوروبا بعد توترات العام ١٨٤٩ بين وداخل حركات المعارضة، والافتقار الى دعم شعبي واسع واحتفاظ النخب الحاكمة بسلطة واسعة، قد يفضي الى إنهاء الضغط من أجل التغيير في العام ٢٠١٢. وتأتي الثورة المضادة.

في الشرق الأوسط، توقّع أن تقوم المؤسسة العسكرية بتعزيز سلطتها وتقوية التحالفات الحاكمة المريبة والواهنة مع الحركة الاسلامية الصاعدة. توقّع أن تقود السعودية وتركيا، بدعم من الولايات المتحدة وحلفائها، الجهود الطامحة لإعادة تأسيس الواقع الإقليمي الحساس الذي يحمي إسرائيل. في الغرب، سوف تحتوي الأحزاب السياسية المركزية الضغوط للإمساك بزمام الأسواق المالية والقيام بخطوات بطيئة لإصلاح دولة الرفاه المتضخّمة. سوف تعتمد واشنطن أكثر فأكثر على شركائها عبر العالم للمساعدة في الحفاظ على مصالحها العالمية.

بعض الأسباب التي قادت الى نضوب الزخم الثوري في أوروبا بعد توترات العام ١٨٤٩ قد يتكرر في الشرق الأوسط في العام ٢٠١٢

سقوط الحكّام القوميين العرب في تونس (زين العابدين بن علي)، ومصر (حسني مبارك)، وليبيا (معمر القذافي)، واليمن (علي عبد الله صالح) في ٢٠١١، قد يعقبه سقوط نظام بشار الأسد في العام ٢٠١٢. ولكن أصبح واضحاً في العام ٢٠١١ بأن العناصر العلمانية والليبرالية والديمقراطية الإجتماعية للمعارضة العربية لن يبرزوا كفائزين في الصراع على السلطة ما بعد الثورة.



في الواقع، إن الإنتخابات التي جرت في مصر وتونس قد كشفت عن أن الناطقين بإسم الثورة الشباب وروّاد الإنترنت الذي أصبحوا بارزين على تغطيات تلفزيون الجزيرة وسي إن إن من ميدان التحرير يفتقرون الى أي قاعدة قوية للدعم الإنتخابي.

بدلاً عن ذلك، فإن الأحزاب السياسية الإسلامية السنيّة العربية يتوقع استلامها السلطة ليس في مصر وتونس، ولكن أيضاً في ليبيا، واليمن، وسوريا، وهي بلدان ستكون مهدّدة بالإنقسامات على قاعدة دينية وإثنية وليبرالية. الأحزاب الإسلامية الشيعية العربية تلعب حالياً دوراً مهيمناً في عراق ما بعد صدام حسين وفي لبنان، حيث العرب السنة يلعبون دوراً سياسياً دفاعياً.

نهاية الحكام التسلّطيين مثل مبارك،

القذافي، أو، للسبب نفسه، بشار الأسد، وإجراء إنتخابات حرّة، وإعطاء المواطنين المذاق الأول للحرية السياسية، قد يجلب بعض الأمل لأولئك المنادين بالتغيير. ولكن حكم الأغلبية في بلدان تفتقر للضمانات الدستورية التي تحمي حقوق الأفراد، والمساواة الجنسية، والحرية الدينية قد تصبح محكومة بالأحزاب الإسلامية التي قد تشكّل تهديداً للنساء والأقليات الدينية، مثل الأقباط في مصر، والمسيحيين في سوريا والعراق. وقد يسرّع ذلك من المنافسات الإثنية والطائفية والقبلية في ليبيا، واليمن، وسوريا، ومصر وقد تخلق ظروفاً مناسبة لسلسلة من الحروب الأهلية في العام ٢٠١٢ في هذه البلدان.

يضاف إلى ذلك، فإن الكثير من التوتّرات المذهبية بين السنة والشيعة في لبنان، وسوريا، والعراق، أو في البحرين ـ حيث الأقلية السنيّة تحكم الأغلبية الشيعية، ستتفاقم من خلال القلق المتنامي من قبل السعودية وحلفائها في مجلس التعاون الخليجي ـ وهو قلق تبادله تركيا إياه ـ حول القوة الصاعدة لإيران الشيعية وإمكانية نمو حركات إنفصالية بين الاقليات الشيعية في منطقة الخليج.

ومثل السعوديين، فإن الأترك مهتمون بمنع وقوع العراق، وسوريا، ولبنان في

يتوقّع أن تقود السعودية وتركيا، بدعم من واشنطن وحلفائها، الجهود الطامحة لإعادة تأسيس الواقع الإقليمي الحامي لإسرائيل

خضم حروب أهلية ـ والذي قد يهيء فرصة انشقاق كردي عن العراق ـ وضمان انتقال سلمي للسلطة في مصر، وتونس، وليبيا، وفي المحافظة على الواقع القائم في الأردن، والمغرب، والتحرّك نحو قرار حل للنزع الاسرائيلي ـ الفلسطيني.

في ذلك السياق، فإن المساعدة على خلق آليات للتعاون بين القوى السياسية المتواشجة مع المؤسسة العسكرية والاخوان المسلمين بهدف تأسيس قانون ونظام وفتح الطريق لانعاش اقتصادي في البلاد سيكون أحد الطرق التي ستسعى تركيا والسعودية، بدعم من أغلبية المصريين وتأييد الولايات المتحدة وأوروبا، للسيطرة على التغيير الثوري.

ولذلك، ستبرز السعودية وتركيا كلاعبين رائدين في الثورة المضادة في الشرق الأوسط في العام ٢٠١٢، وتطبيق نوع السياسات الإقليمية التي تبدو متطابقة مع مصالح الولايات المتحدة. في الحقيقة، في وقت إضعاف السلطة العسكرية الأميركية وتآكل القاعدة الاقتصادية، فسوف تشجّع واشنطن القوى الإقليمية مثل تركيا والسعودية، أو شركائها الآخرين في شرق أسيا (اليابان، كوريا، أستراليا)، للعب دور أكثر فاعلية في تطوير أجندة الأمن الأميركي العالمي.



هذه الاستراتيجية قد تثبت بأنها فاعلة في العام ٢٠١٢ ولكن قد تواجه تحدّيات خطيرة في السنوات القادمة، حيث أن هؤلاء اللاعبين يعتنقون سياسات قد تتعارض مع مصالح الولايات المتحدة.

ولكن حتى مع كل التداعيات التي تأتي بسبب التزاماتها العسكرية في الشرق الأوسط (العراق)، فسوف تواصل الولايات المتحدة لعب دور حافظ التوازن العالمي للفترة الاخيرة من العام ٢٠١٢، خصوصاً إذا أفضت الى كونها منغمسة في صراع دبلوماسي وعسكري مع إيران والذي قد يشعل حرباً شاملة هذا العام ولكن قد تسمح للرئيس باراك أوباما للدخول في مزاولة سياسة حافة الهاوية مع طهران قرب وقت الحملة الانتخابية لهذا العام ٢٠١٢.

السيناريو الغربي

لن يتغير الكثير في الطريقة التي سيتم بها تطبيق السياسات النقدية والمالية في واشنطن، سواء غادر السيد أوباما البيت الأبيض في أعقاب النصر الرئاسي الجمهوري في نوفمبر القادم أو أعيد إنتخابه مجدداً (وينسحب الأمر ذاته على فرنسا، إذا خسر الرئيس نيكولاي ساركوزي في انتخابات العام القادم).

إن مصالح الصناعة المالية والشركات الأميركية التي تموّل الحملات الإنتخابية لكلا الحزبين سوف تواصل هيمنتها على السلطة التشريعية وعملية صناعة السياسة فيما سيواجه الضغط القادم من الناخبين والإتحادات العماليّة التي تمثّل العمّال في القطاع العام صعوبة خفض برامج التقاعد المدعومة من الحكومة والتأمين الصحي الرئيسية.

ليس هناك سبب للإعتقاد بأنّه إلى جانب كارثة إقتصادية مدّمرة، فإن هذا النوع من النظام الإقتصادي السياسي التي تهيمن أيضاً في أغلب أوروبا الوسطى والغربية قد يتم إسقاطه في أي وقت وشيك.

في الحقيقة، لا متظاهرو احتلوا وول ستريت على اليسار، ولا، لنفس السبب، أعضاء حركة حزب الشاي على اليمين ، أو حتى نظرائهم السياسيين في أوروبا، قد قدّموا مجموعات جديدة من الأفكار التي تساعد على إجراء تغييرات هيكلية في الواقع الاقتصادي والسياسي الحالي.

واذا كان هناك ثمة شيء، في وقت عدم الأمان الإقتصادي والغموض السياسي، فإن المصوّتين الغاضبين في الغرب أو، لنفس السبب، في الشرق الأوسط إنجذبوا الى سياسة الهوية التي تدمج العناصر المتفجّرة للقومية، والإثنية، والدين.

وعليه إذا كان الأهم في تراث زمن ربيع الأمل لعام ١٨٤٨ كان نهوض القومية الألمانية والايطالية والاشكال الأخرى للقومية في أوروبا، فإن الانتفاضات لعام ٢٠١١ قد تبدأ تشعل ضغوطات مماثلة في الشرق الأوسط وحتى في أوروبا في عام ٢٠١٢، حيث انقشاع الوهم مع الوعد بالتغيير يبدأ بتأسيس لمرحلة جديدة.

الوهابيّة: مذهب الكراهية

مشايخ التكفير

الشيخ سعد البريك



الجزء (٥)

سعد الشريف

الشيخ سعد البريك (مواليد ١٩٦٢)، داعية وإمام وخطيب جامع الأمير خالد بن سعود بظهرة البديعة، غربي العاصمة الرياض، منذ أكثر من ٢٥ عام. إلتحق بجامعة الإمام محمد بن سعود وتخرّج فيها، وحصل على شهادة الدكتوراه من المعهد العالي للقضاء ـ قسم الفقه المقارن، عن رسالة بعنوان (تنصيص اختيارات الإمام الخطابي الفقهية). يعمل حالياً مستشاراً ونائبا لرئيس اللجنة العليا في مكتب الأمير عبدالعزيز بن فهد للبحوث والدراسات، ويتولى في الوقت نفسه عدداً من الوظائف منها: عضو لجنة التربية العليا التي كان يرأسها الأمير سلطان بن عبدالعزيز ولي العهد السابق، وعضو اللجنة الفرعية المنبثقة عنها والتي يرأسها الشيخ عبدالله المطلق، وعضو فريق مناصحة السجناء التي شكّلتها وزارة الداخلية برئاسة الأمير نايف لتبديل قناعات عناصر الجماعات المسلّحة والقاعدية، والمشرف العام على المكاتب التعاونية للدعوة والإرشاد وتوعية الجاليات بالبديعة والصناعية الجديدة، وعضو الهيئة الشرعية في الندوة العالمية للشباب الإسلامي، وعضو مجلس أمناء مؤسسة الوقف الإسلامي في السويد وفي مجلس أمناء مسجد التوحيد في هاتشي يوتشي بمدينة طوكيو في اليابان.

يكتب في الصحف والمجلات وله حضور إعلامي وشعبي لافت عبر الصحافة والقنوات الفضائية، وكذلك مشاركاته في عدد من الندوات والمؤتمرات في عدد من قارات العالم. لعب دوراً محورياً في مشروع المناصحة بهدف إقناع عناصر الجماعات المسلّحة بحرمة الخروج على الدولة السعودية، حتى بات ينظر إليه باعتباره داعية سلطوياً بامتياز، كما يظهر بوضوح أيضاً في مواقفه من الحركات المطلبية السلمية في البلاد. وقد إشتهر بموقفه من الاحتجاجات الداخلية، حيث أثار مقطع له في برنامج مباشر بثّ على قناة (المجد) السلفية لدعوته (لتهشيم كل جمجمة) في رد فعل على دعوة التظاهر الشعبي في ١١ آذار (مارس) ٢٠١١..

صنّف البريك الكثير من الأبحاث المنشورة في مجلات سلفية، وله فتاوى مثبّتة في موقعه على شبكة الإنترنت، وتكشف عن رؤيته العقدية حيال الكون والمجتمعات والوقائع الجارية، وسنحاول هنا إلقاء الضوء على آرائه ومواقفه في موضوع التكفير على وجه الخصوص.

البريك والرؤية الكونية

يمكن المجادلة ابتداءً بأن الشيخ البريك، شأن كثيرين من العلماء والمشايخ في المدرسة الوهابية، لا يمارس القتل على خلفية عقدية،

ولكن يحرّض عليه، من خلال صوغ رؤية عقدية للكون تضع الأغلبية الساحقة من سكان الأرض، بمن فيهم المسلمين من غير الوهابيين، في خانة الكفّار أو المشركين، أو المبتدعة، فيأتي الآخر الجاهز لتحويل تلك الرؤية العقدية الى حكم شرعي فيحيله عملية انتحارية (يسمونها زوراً إستشهادية)، أو حزاماً ناسفاً، أو سيارة مفخّخة، أو مسدس كاتم صوت..ولا يجد البريك وأهل دعوته في ذلك ضيراً طالما أن الأضرار تقتصر على الآخر، ولا تصل إلى الدار، ولا تلحق الضرر بولاة الأمر، بالنظام السعودي..!

في تصوير لأحوال نجد العقدية قبل دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، كتب البريك (في القرن الثاني عشر الهجري، وقبيل ظهور دعوة الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب ، اتسمت هذه البلاد وما حولها بسمة الجهل والفقر والتخلف..كما كان الجهل بالشريعة والإعراض عن الدين مستحكماً فقد شاعت البدع وساد الغلو وفشت المنكرات والشركيات والخرافات وشاعت مذاهب الحلول والإلحاد التي تولى كبرها ابن عربي وابن الفارض). ومن هنا على وجه التحديد يبدأ تقعيد التكفير وتبرير ما يليه من أحكام.

ثم ينتقل الى حال البلاد الاسلامية عموماً (ولم تكن هذه البلاد بأسوأ حالاً من كثير من بلاد الإسلام الأخرى فقد كان العالم الإسلامي في ذلك الوقت يعيش أوضاعاً دينية ودنيوية في غاية السوء، وكان الإسلام قد عاد غريباً..)، والغربة هنا تعني العودة الى الجاهلية بحسب البريك، بكل صورها.

ماذا جرى بعد ذلك؟

ما سبق كان تمهيداً لمرحلة يكون فيها ظهور الشيخ محمد بن عبد الوهاب ضرورياً، حيث يلعب، بحسب البريك، دوراً خلاصياً لإنقاذ الأمة من الشرك وإعادتها الى الإسلام، يقول (في ظل هذا الزمان العصيب وفي ثنايا هذه الظروف الصعبة والأحوال السيئة، أبى الله إلا أن يظهر نور الإسلام، فبدأت أنوار الحق والهدى تشع في الأفق..)، أي حين شرع الشيخ إبن عبد الوهاب (ببيان عقيدة التوحيد ونشر السنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وكبْتِ البدع والمحدثات..)، وكان يهدف كما يقول البريك (لإقامة مجتمع مسلم يصطبغ بصبغة التدين.. أقام دعوته على هذا المنهج السليم فسعى إلى ترسيخ التوحيد ونبذ الشرك والمحدثات وإقامة فرائض الدين وشعائره وتحقيق العدل وبناء مجتمع إسلامي..).

يذكر كلام البريك بما قاله الشيخ ابن عبد الوهاب عن نفسه حين بشّر بدعوته وسط سكان نجد، ولعلّه استلهم ذلك بما قاله الشيخ ابن تيمية عن نفسه حين قال في محضر السلطان المملوكي (من قام بالإسلام أوقات الحاجة غيري؟ ومن الذي أوضح دلائله وبيّنه؟ وجاهد أعداءه وأقامه لما مال؟ حين تخلى عنه كل أحد، ولا أحد ينطق بحجته ولا أحد يجاهد عنه وقمت مظهراً لحجّته مجاهداً عنه مرغباً فيه؟). وقال أيضاً (كل من خالفني في شيء مما كتبته فأنا أعلم بمذهبه منه..)[1].

وردت جمل ذات إيحاءات إقتلاعية من قبيل أن الشيخ ابن عبد الوهاب كان له (الأثر الأكبر في إظهار الدين والإنتصار للسنّة) وأنه لم يَمُتْ إلا وقد رأى (راية السنة الخفاقة..). والأخطر أنه افترض أن ما قام به الشيخ إبن عبد الوهاب هو إعادة بناء (إمة الإسلام) بقوله (لقد كانت هذه الدعوة الإصلاحية إمتداداً للمنهج الذي كان عليه السلف الصالح أهل السنة والجماعة، وهو منهج الإسلام الحق الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الكرام والتابعين وأئمة الدين من الأئمة الأربعة وغيرهم من أهل الحديث والفقه). ونقل البريك مؤيّداً كلاماً لأحد من وصفهم (أهل العلم الذين عايشوا هذه الدعوة ـ الوهابية ـ ودولتها المعاصرة وعلماءها وأهلها عن كثب)، ما نصّه (إن دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب: عودة إلى الإسلام في أول أمره ومطلع فجره ومتى قلنا ذلك كفينا أنفسنا عناء الجدل العقيم، وهي حركة تجديد وتطهير). وغفل البريك عمّا ينطوي عليه هذا النص من طامة المصادرة لتاريخ المسلمين عموماً، واعتبارهم أنهم لم يكونوا مسلمين حقيقيين حتى جاء الشيخ ابن تيمية أولاً ثم من بعده الشيخ محمد بن عبد الوهاب ليخرجوا الناس من الظلمات الى النور، كما فعل ذلك رسول الله المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم.

ولو وقفنا على ما ذكره البريك في (أهداف الدعوة) التي جاء بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب لعلمنا بأنّه إنما جاء لدعوة المسلمين الى الإسلام، كما يظهر من بيان البريك لحال الأمة أو حسب قوله (لا بد ونحن في صدد بيان عظيم منة الله تعالى على الناس بهذه الدعوة المباركة أن نبين بشيء من التفصيل حال أهل الجزيرة والعالم الإسلامي وما كانوا عليه من الشركيات والكفريات والبدع المهلكات: فقد كانت عبادة الأصنام من بشر وشجر وحجر منتشرة..)، وأكثر من ذلك (وكان كثير ممن يدّعون العلم والفقه متلبّسون بالشرك الأكبر ويدعون إليه ولو سمعوا إنساناً يجرّد التوحيد لرموه بالكفر والفسوق). واستدل في ذلك بقول للشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسن (وغلب على الأكثرين ما كان عليه أهل الجاهلية وانطمست أعلام الشريعة في ذلك الزمان وغلب الجهل والتقليد والإعراض عن السنة والقرآن..).

فقد وصف حال بلاد نجد واعراضها عن دين الله والجحد بأحكام الشريعة، وبلاد الحرمين الشريفين وتفشي الإعتقادات الباطلة والطرق المبتدعة، والإستغاثة عند قبور الأولياء والصالحين، وما يجري من اختلاط النساء والرجال وفعل الواحش والمنكرات وسوء الأفعال (دون تحديد مصدر أو مرجع)، وكذلك في الطائف وما يجري عند قبر ابن عباس، وبندر جدّة..ثم ينتقل من الجزيرة العربية الى خارجها، فيذكر مصر بما نصّه (وأما بلاد مصر وصعيدها وفَيّومها وأعمالها، فقد جمعت من الأمور الشركية والعبادات الوثنية والدعاوى الفرعونية ما لا يتسع له كتاب لاسيما عند مشهد أحمد البدوي وأمثاله من المعبودين، فقد جاوزوا به ما ادّعتْه الجاهلية لآلهتهم، وما لم يُنقَل مثله عن أحد من الفراعنة والنماردة). وزاد على ذلك (وقد استباحوا عند تلك المشاهد من الفواحش والمنكرات والمفاسد ما لا يمكن حصره..)، ثم يضيف (وقُلْ مثل ذلك في ما يجري في بلاد اليمن وأرض نجران وبلاد الشام والموصل وبلاد الأكراد وفي العراق).

وفق تلك الرؤية الكونية التي تصوّر حال الأمة الإسلامية بهذا السوء (استدعت بالضرورة دعوة إصلاحية شاملة تقوم على تجديد الدين بإحياء ما اندرس منه وبإصلاح أحوال الأمة في سائر نواحي الحياة..وجماع ذلك كله: إخلاص العبادة لله وحده والعمل بمقتضى شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله). وهل تكفير الأمة يتطلب

مزيداً على ذلك، أو بكلام آخر وهل التكفير يستوجب تأصيلاً وتقعيداً أقوى مما ذكره البريك؟ مع لفت الإنتباه إلى ما ختم به هذا المقطع (فقامت هذه الدعوة الإصلاحية المباركة تحقيقاً لوعد الله تعالى بتجديد الدين ونصر المؤمنين وبقاء طائفة من هذه الأمة على الحق ظاهرين إلى قيام الساعة). ومن ذلك أنه تصدّى (للردّ على من تنكّب عن سبيل الله القويم وصراطه المستقيم واتّبع سبيل التحريف والتعطيل على اختلاف نِحَلهم وبِدَعهم وتَشَعُّب مقالاتهم وطرقهم..ولم يلتفت إلى ما عدا ذلك من قياس فلسفي أو تعطيل جهمي أو إلحاد حلولي أو تأويل معتزلي..)[٢].

وفي محاولة لنفي أي صلة بين الوهابية والخوارج، لما لحق بالأخيرة كفرقة موصومة بالتكفير، يضع البريك فروقاً بينهما بما ينفي الصلة بينهما وإثباتها مع غيرها، ومن بينهم الشيعة، كالطعن في الصحابة على أساس أن (أهل السنة أتباع هذه الدعوة ـ الوهابية ـ فإنهم يوالون كل الصحابة ويترضون عنهم).

في السياق نفسه، إرتبط مبدأ الخروج على الحاكم بالحكم عليه بالكفر البواح المخرج من الملّة، وقد حاول البريك تبرئة الشيخ محمد بن عبد الوهاب من الخروج على الدولة العثمانية، مقتصراً على بعض مناطق الجزيرة العربية التي كانت خاضعة رمزياً للحكم العثماني، متجاهلاً ما أحدثته كتائب الوهابية في العراق وبلاد الشام وكانتا تحت الحكم العثماني التام. يقول البريك عن الشيخ محمد بن عبد الوهاب أنه (لم يكن يتقصّد الخروج على الخلافة ولا ينوي معارضتها، بل كان يرى أن ما يقوم به من الدعوة أمر واجب شرعاً لا علاقة له برضى الخلافة، وأنه لم يفتئت عليها في ذلك..)، وفي ذلك إقرار ضمني بالخروج على الدولة العثمانية، التي قال عنها بأنها (سقطت واقعة تحت طائلة البدع و التصوف، وكانت تتبنى البدع وتؤيد الطرق الصوفية وتنشرها وتحميها وتسخر لها الإمكانات والإدارات والأوقاف ويتسابق ولاتها وأمراؤها إلى ذلك). وأضاف (فأسهمت في ترسيخ بدع الأضرحة والقباب والمزارات والمشاهد البدعية ووقع خلفاؤها المتأخرين تحت تأثير شيوخ الطرق البدعية وانصرفت قلوبهم لغير الله فانهزمت نفوسهم وانحرفت عقيدتهم، واتجهت إلى طلب النفع ودفع الضر من غير الله وأصيبت عباداتهم وأعمالهم بداء التصوف). وهل ذلك القول سوى تبرير الخروج عليها، ومحاربتها، بحجة أنها دولة بدع، وأن دعوة إبن عبد الوهاب هي الحق، فهل يحتاج المرء لأكثر من ذلك كي يصل إلى نتيجة أن الوهابية نزعت المشروعية الدينية عن الدولة العثمانية فخرجت عليها وبشّرت بدعوة رأت فيها المشروعية الدينية البديلة؟.

يزعم البريك بأن الشيخ ابن عبد الوهاب ومن جاء بعده من مشايخ وأمراء آل سعود لم يخرجوا على الدولة العثمانية وأنهم قدّموا لها الولاء، وفي ذلك مغالطات تاريخية فادحة، فكل حروب الوهابيين داخل الجزيرة العربية وخارجها جرت في سياق الخروج على الدولة العثمانية كما عرضنا في أجزاء سابقة، وأن سقوط الدولة السعودية الثانية جاء بقرار من السلطان العثماني الذي أمر والي مصر محمد علي باشا بأن يرسل الجيوش الى الحجاز لإخراج آل سعود وتطهير بلاد الحرمين منهم، واقتادوا قادة الجيوش الوهابية وأمرائها الى مصر.

الملك عبد العزيز وحروبه على مناطق الجزيرة العربية هي الأخرى كانت خروجاً على الدولة العثمانية، لا سيما وقد ترافقت مع الإستعانة بالأجنبي، البريطاني حصراً، الذي ساعده بالمال والسلاح لضرب الوجود العثماني في الحجاز، والدخول في مشروع خيانة كان من بينها تصفية الثورة العربية الكبرى في الحجاز، وصدور وعد بلفور سنة ١٩١٧هـ، حتى أن السلطان العثماني عبد الحميد الثاني رفض عرض جميعة الاتحاد والترقي المعروفة بإسم (جون تورك) بتقديم (١٥٠) مائة وخمسين مليون ليرة انكليزية ذهباً مقابل المصادقة على تأسيس وطن قومي لليهود في الأرض المقدّسة (فلسطين)، فكان جوابه (إنكم لو دفعتم ملء الدنيا ذهباً ـ فضلاً عن (١٥٠) مليون وخمسين مليون ليرة إنكليزية ذهباً ـ فلن أقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي. لقد خدمت الملّة الإسلامية والأمّة المحمدية ما يزيد على ثلاثين سنة فلم أسوّد صحائف المسلمين آبائي وأجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين. لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أيضاً)[٣].

وعلى مستوى الجزيرة العربية، يقول السلطان عبد الحميد (إننا نعترف آسفين بأن لانكلترا نفوذاً قوياً في الجزيرة العربية..)[٤]. وعن دعوى إرسال عبد العزيز رسالة للسلطان عبد الحميد في غرّة شهر رمضان من عام ١٣٢٢هـ يقرّها بالولاء له، وأن الدولة العثمانية أقرّت عبد العزيز بسلطته على ما تحت يده، حسب البريك، نقرأ في مذكرات السلطان عبد الحميد الثاني ما يلي (إن إبن سعود يعرف جيداً مدى حرمة الإقتداء بالانكليز، وقد خيّل إليه في فترة من الفترات أنه سيكون حاكم الجزيرة العربية فأراد نيل الاستقلال بمساعدة الإنكليز، ولكن لم يخطر بباله أنه سيقع في مصيدة هؤلاء الانكليز)[٥].

نفى البريك كثيراً من الانتقادات ضد علماء الوهابية بما في ذلك (هدم الحجرة النبوية) وإخراج قبر المصطفى صلى الله عليه وسلم من المسجد، وهدم القبّة الخضراء، وقد عبّر عن ذلك أكثر من علماء الوهابية باللسان والقلم، كما في محاضرة للشيخ محمد بن صالح العثيمين والتي نفى أن تكون الحجرة النبوية من المسجد، وعن القبة قال بالحرف (القبة عاد الله يسهل هدمها)[٦].

وقد انفردت مدرسة الشيخ إبن تيمية والشيخ محمد بن عبد الوهاب بالدعوة الى هدم قبّة المسجد النبوي وإخراج القبر الشريف، كما جاء في (إغاثة اللهفان، الجزء الاول ص ٢١٠ لابن القيم)، و(إبراهيم الجبهان، تبديد الظلام وتنبيه النيام، ص ٣٨٩)، و(تحذير الساجد في اتخاذ القبور مساجد ص ص ٨٢، ٩٢ ومابعده)، و(أحكام الجنائز وبدعها، ص ٢٠٨)، للشيخ ناصر الدين الألباني.

حين نجمع بين أقوال البريك (إن الصراع بين دعوة التوحيد والسنة وبين خصومها لم يكن أبداً صراعاً سياسياً ولا مادياً ، إنما كان صراعاً عقدياً بالدرجة الأولى)، وقوله (فخصومها هم خصوم الأنبياء والرسل وخصوم التوحيد والسنة..)، وقوله (لقد واجهت هذه الدعوة المباركة وإمامها وعلماؤها وقادتها ودولتها ولا زالوا يواجهون أصنافاً من الخصوم وأنواعاً من التحديات والدعايات المضادة والمفتريات)، يخلص الى النتيجة (أن هذه الدعوة المباركة أنها تمثل الإسلام الحق ..)[٧].

في الحلقة الثالثة من محاضرته المعنوّنة (إسلامية وكفى)، يضع البريك النقاط على الحروف، ويخلص الى النتائج من حركة الشيخ

محمد بن عبد الوهاب، بأنها جاءت لتحقق صدق الآية (يأبى الله إلا أن يتم نوره)، وبذلك (نشأت أجيال لا تعبد إلا الله وحده ولا تتبع إلا خاتم رسله صلى الله عليه وسلم) ومن بين ما أحدثته، على حد البريك، هو أن (بات الحرَمان الشريفان مركز إشعاع ونور لدعوة التوحيد والسنة). فماذا كان الحال قبل ذلك؟!

وصار البريك يعدّد مشايخ الوهابية الذين انتشروا في البلدان لنشر الدعوة وإعادة المسلمين (المشركين قبل الدعوة الوهابية) الى الإسلام. ومن بين ما ذكر في بلاد الشام الشيخ طاهر الجزائري، والشيخ محمد بهجت البيطار، والشيخ عبد القادر المغربي، والشيخ كامل القصاب، وفي مصر الشيخ محمد رشيد رضا، ومن جاء بعده مثل الشيخ محمد حامد الفقي والشيخ عبد الرحمن الوكيل والشيخ خليل الهراس والشيخ عبد الرزاق عفيفي (وبعضهم أصبح عضواً في هيئة كبار العلماء)، وفي العراق الشيخ محمود شكري الألوسي، وفي اليمن الشيخ محمد بن علي الشوكاني والشيخ محمد بن إسماعيل الصنعاني.

ومايلفت أن البريك اختار تونس نموذجاً في حديثه عن الحركة الوهابية في المغرب العربي بناء على رسالة من الشيخ محمد بن عبد الوهاب والأمير سعود بن عبد العزيز الى أهل تونس لدعوتهم للدخول في الوهابية، ونسي البريك ما كتبه علماء تونس من ردود ظهرت في كتاب (الرد على الوهابية في القرن التاسع عشر) طبع سنة ٢٠٠٨ عن دار الطليعة في بيروت. وقد جاء في مقدمة الكتاب (تصوروا مراسيل غريبة تتوجّه إلى مسلمين يـؤدون الفرائض، وإلى علماء يأمرون بالمعروف، وإلى ولاة يحمون الثغور، تنذرهم بأنهم ليسوا في الإسلام من شيء وتتوعّدهم بالعذاب الشديد وتهدّدهم بالحديد، إذا ما لم يمتثلوا لما حملته المراسيل من آيات بيّنات وشظايا من الأحاديث هم أدرى بمعرفتها ممن بعثها. هذا ما وقع في المغرب العربي الكبير عندما بعث سعود بن عبد العزيز (١٧٥٠-١٨١٤) مدة حكمه (١٨٠٣-١٨١٣) برسائل إلى أهل المغرب على نمط "أسلم تسلم"، اجتراراً لسيرة الرسول الكريم، وكأنه يكتب لكفرة دارة الحرب..)[٨].

استطراداً، نسب البريك حركات المقاومة للإستعمار الأجنبي الى الدعوة الوهابية، واعتبر حركة الأمير عبد القادر الجزائري، وحركة أحمد عرابي، وحركة الشيخ شامل في القوقاز، وحركة الشيخ عبد الكريم الخطابي في المغرب فضلاً عن حركة أحمد خان بالهند وجمعيات الإصلاح في إندونيسيا والبنغال وباكستان، كلها كما يقول البريك (كانت ثمرة هذه الدعوة التجديدية الإصلاحية التي غدت تمثل الطليعة الأولى ليقظة المسلمين بعد سبات عميق ورقاد طويل..). وختم بالقول (إن هذه الرسالة الخالدة أمان من الخوف وحرز من الضيم..)[٩].

في مقاربته لأفعال الفكر التكفيري، يستحضر البريك صورة المواجهة المسلّحة بين عناصر القاعدة ونظام آل سعود، ولا يرى في اقترافات القاعدة سوى ما يتّصل منها بهذا النظام دون سواه. فهو، على سبيل المثال، لا يتطرّق على الإطلاق لجرائم القتل التي قامت بها هذه العناصر في ساحات أخرى في العراق أو مصر، أو الأردن، أو باكستان أو غيرها، ما يشي بنزوع انتقائي حيال استهدافات الفكر التكفيري. بمعنى ما، إذا كان هذا الفكر مصوّباً ضد النظام السعودي ومن هم تحت مظلّته يغدو تكفيرياً وعدوانياً، إما إذا كان لهذا الفكر أهداف أخرى بعيدة جغرافياً فيغض الطرف عنه، بل قد يحظى بقبول وتشجيع. كتب البريك (إننا بأمس الحاجة إلى أن نوحد صفوفنا وأن نتفقد خطابنا وإن نجمع شملنا..حوادث التفجير التي أزهقت أرواح أبرياء، وسفكت دماء معصومة من مسلمين مصلين عابدين، كانوا يطلبون لقمة العيش والرزق الحلال..ثم تتوجه لقتل أناس غير مسلمين، ولكنهم ممن عصمت الشريعة دماءهم بعقد الأمان الذي دخلوا به هذه البلاد). ويؤصّل البريك لذلك بالقول (من أصول الدين وقواعد الشريعة أن الدماء والأعراض والحقوق والأموال معصومة ممنوعة معظمة محرمة لا تستباح باجتهاد قاصد ولا تسفك برأي متحمس ولا تهدر بحماس مقتدر. فأمر الدماء خطير..). حسناً هل هذا الأصل ينسحب على كل الحالات، أو تقتصر فحسب على حالة المملكة السعودية بفعل خروج جماعات مسلّحة على النظام، وقامت بتنظيم سلسلة تفجيرات في مناطق متفرّقة عامة وحيوية؟

يسرد البريك طائفة أحاديث مثل (المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده)، و(المؤمن من يأمن جاره بوائقه)، و(المسلم أخ لأخيه المسلم لا يسلمه ولا يقتله ولا يحقره)، ويعقّب البريك (إذا كانت هذه صفات المسلمين فانظروا إلى أي مدى بعُدَت هذه الأيدي الآثمة والتصرفات الخاطئة عن الإسلام بمثل هذه التصرفات). ويشمل السؤال والاستنكار البريك نفسه أيضاً كما سنرى.

نلفت هنا الى واحدة من الرسائل الهامة التي يسعى البريك الى تمريرها في حكايته عن الفكر التكفيري بما نصّه (لقد وقفت الأمّة صفًا واحدًا خلفَ قيادتها وولاة أمرها تستنكر هذا العملَ وتدينه.. والأمّة مؤمنةٌ بربّها، متمسّكة بدينها، مجتمِعة حولَ ولاةِ أمرها، محافظة على مكتسباتها، وكلّنا..حرّاسٌ للعقيدة حماةٌ للديار، فيجب على من علِم أحدًا يُعِدّ لأعمالٍ تخريبيّة أن يبلِّغَ عنه، ولا يجوز التستّر عليه). وفي سياق دفاعه عن النظام السعودي يقول (إنّ كيانَ هذه الدّولة قام واستقام على قواعدَ ثابتة وأصولٍ راسخة من الدين والخِبرة والعلم والعمل.. إنّ دولةً هذا شأنُها وهذه خصائصُها لا يصلح لها ولا يناسبها الخلطُ بين الإسلام الحقّ وبين الانحراف باسم الإسلام، كما لا تقبَل أن يُضربَ الإسلام أو يُنتقصَ بحجّة وجود بعض الغلاة)[١٠].

لا تغدو الأحاديث عن المسلم وحرمته، وعصمة دمه، وصون كرامته ذات قيمة حين تتلبّس النزعة الإيديولوجية مطارحاته العقدية والفكرية. ففي مقالة له بعنوان (جناية الفكر المتطرّف)، ينبري العقل الإلغائي ليؤسس لمبدأ الواحدية ونفي التعدّدية بما هي تظهير لحركة الإجتهاد في التاريخ الإسلامي وثمرة التطوّر المعرفي الديني. يستدل البريك بآية (وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل)، واعتبر لفظة الصراط، بكونها جاءت بصيغة المفرد، دلالة على أن طريق الحق واحد لا تعدّد فيه. فأين البريك إذاً من آية (قل كل يعمل على شاكلته وربكم أعلم بمن هو أهدى سبيلاً) فجاء فعل (أهدى) على صيغة (أفعل)، وهو من أفعال التفضيل، ولو كان الطريق الى الحق واحداً، لكان الأولى عدم استعمال فعل تفضيلي، بما يشير الى مراتب الفعل، فهناك من هو على هدى وهناك من هو أهدى. ولذلك قال أحدهم: إن توحّد الحق لا يلغي تعدد الطرق الموصلة إليه.

ومن التفسيرات الإلغائية لآية (وكذلك جعلناكم أمة وسطاً) يقول

البريك (وكما أن أمة الاسلام وسط بين الأمم، ودين الإسلام وسط بين الأديان..فإن أهل السنة والجماعة هم وسط بين الفرق الضالة والمناهج المبتدعة، وهم الفرقة الناجية..) وهم (يرشدون إلى الحق من تنكب الصراط..)، فكيف استدل على ذلك، بالنظر الى المعايير الصارمة التي وضعها علماء المدرسة الوهابية لمسمى أهل السنة والجماعة والتي لا تنطبق سوى على أتباع الشيخ محمد بن عبد الوهاب.

في تواصل مع ما سبق، يرى البريك بأن أهل الغلو وأهل التغريب يعملون (على زعزعة الأمن الفكري..)، والدليل على ذلك بحسب البريك (وذلك بمحاولة إسقاط العلماء وتهميشهم). وذكر أمثلة على ذلك من مقالات لكتّاب نقدوا فيها مواقف بعض العلماء، فقد ساءه أن ذكر أحد الكتّاب بأن آراء العلماء هي مجرد اجتهادت، رغم أن البعض يحصل على هالة من الجلال والوقار وهو لا يملك نصيباً وافراً من العلم الديني والشرعي. ونقد آخر تسلّح الشيخ الفوزان بالفتوى للرد على كل فكرة أو مقال لا يروق له. وعلّق البريك (هذا الهجوم الليبرالي التغريبي على العلماء لإسقاطهم ينسجم ويتوافق مع هجوم مماثل يقوم به التكفيريون ضدهم ، لكن بلون آخر وحجج أخرى). وساء البريك أيضاً أن وصف زعيم تنظيم القاعدة السابق أسامة بن لادن في خطابه للمفتي السابق الشيخ بن باز في ٢٩ كانون الأول (ديسمبر) ١٩٩٤ حكّام آل سعود بالطواغيت، وقال ما نصّه (فاتقوا الله وابتعدوا عن هؤلاء الطواغيت والظلمة الذين أعلنوا الحرب على الله ورسوله). فانبرى البريك يدافع عن حكّام آل سعود بكلام دعائي ممجوج. وأسهب في نقد دعاة الملكية الدستورية والدولة المدنية، واعتبر ولاء أصحاب هذه الدعوة بأنها ليست للوطن إنما للخارج، وأنهم يوجّهون من الخارج (والتغريبيون لا ولاء لهم اتجاه الوطن، لأنهم بمهاجمتهم خصوصية المملكة يصادمون الأسس التي قامت عليها الدولة، وهي نشر التوحيد تحكيم الشريعة وخدمة الحرمين الشريفين..)، ويهدفون أيضاً الى (تهميش العلماء ونشر الفساد بصوره وألوانه..)، وكرر ما قاله الأمير نايف عن أصحاب دعوة الملكية الدستورية (من تورّط بعضهم بالعمل لحساب جهات أجنبية. هذه الجهات التي أغرتهم بالمال والإستثمارات والإمتيازات تستعملهم خنجراً في نحر الوطن وسهماً مسموماً في صدور أبنائه لإفسادهم وزعزعة قناعاتهم بتحكيم الشريعة والتحاكم إليها تزامناً مع غزو فكري غربي مركز وشرس).

ما يثير في مقاربات البريك أنه يركّز كثيراً على مواطن نقد آل سعود للرد عليها، بما يشي أن الرجل موكول بمهمة من هذا القبيل. ومن الغريب أن رجل دين يتغنى بمفهوم الأمة ويرفض أي كيان آخر يدافع عن كيان المملكة، ويرد على من يرفض النسبة إليه (إن الواحد منهم يرفض أن ينسب نفسه إلى بلاده، فإذا سئل عن ذلك قال: أنا من جزيرة العرب، ويرفض أن ينسب نفسه إلى المملكة، وكأن المملكة هي الفاتيكان أو تل أبيب أو هوليوود وكر الإفساد اليهودي العالمي، أو نيو أورليانز المعروفة بمجونها وتفلتها)[١١]، فيما يدرك البريك تماماً أن النسبة ليست للكيان الجيوسياسي وإنما لأسرة تحكم بلداً بإسمها، وأن هؤلاء إنما يرفضون أن ينسبون الى (السعودية)، النظام والعائلة المالكة، وليس الى (المملكة)، البلد أو الدولة، ولأن الأخيرة مرتبطة بالأسرة المالكة، فهم يفضّلون النسبة الى الأسم الشائع لهذه البقعة وهو (جزيرة العرب).

تحدّث البريك عن الأخطار المحدقة بالأمة، واستدرك (لكن أخطر ما فيها نجاح أصحاب المشروع الصفوي في العزف على وتر القضية الفلسطينية لتسويق أجندتهم ونشر التشيع في المنطقة ليكون هذا التشيع غطاء ظاهراً يخفي تحته حقيقة المشروع الصفوي لإعادة مجد فارس البائد).

ويدخل من ذلك الى العلاقة مع الشيعة، لنرى ماذا يريد البريك الاتفاق عليه معهم (تعالوا لنتفق على أصول الإسلام وأركانه وعقائد الكبار..) ثم يستدرك (فليس الخلاف معكم في إسدال اليدين في الصلاة أو وضعهما على الصدر فهذا لا يخرج من الملة، وإن كان وضع اليدين على الصدر هو الحق، وليست زيادة جملة في الأذان أو لطم الصدور في عاشوراء بمخرجة من الملة أو مبررة للخلاف والفرقة، إنما الشأن في الاتفاق على عصمة القرآن من التحريف وعدالة الصحابة وعدم الغلو في الأئمة وإنزالهم منزلتهم التي أنزلهم الله إياها دون إفراط ولا تفريط وعدم تكفير من لم يسلك مذهبكم في وجوب اعتقاد الإمامة)[١٢]. وسرد البريك آراء علماء الشيعة في العلاقة مع من ينصب العداء لأهل البيت بصورة عامة، ولشيعة علي بصورة خاصة، وطالب الشيعة بالبراءة من تلك الآراء..والسؤال الذي يرد هنا: هل البريك على استعداد للبراءة مما ورد في كتب السلفية على الشيعة منذ الشيخ ابن يتيمة ومروراً بالشيخ محمد بن عبد الوهاب ووصولاً الى الجيل المعاصر من علماء السلفية. وبالتالي فإن أسئلة من قبيل: كيف تتحدون مع من تكفروهم ؟. وكيف تلتقون مع من تزعمون أنهم شر من اليهود والنصارى والمجوس؟ تنسحب على الموقف العقدي الوهابي، مع فارق أن علماء المدرسة الوهابية مجمعون على استحالة التقارب مع الشيعة لاختلاف في الأصول والأركان وليس في الفروع. ولذلك اشترط البريك على الشيعة من أجل التقارب أن يؤمنوا بكل ما آمن به البريك وأهل دعوته ليس في القول بتمامية القرآن الكريم وعدم وقوع التحريف (رغم أن لا أحد يقول بذلك من الشيعة اليوم كما ثبّت ذلك علماء السنة في مصر أمثال المرحوم الشيخ محمد الغزالي، والدكتور محمد سليم العوا وغيرهما)، والقول بعدالة الصحابة، وتبرئة أمهات المؤمنين (رضي الله عنهن) من كل سوء، ونفي مئات الأحاديث التي لا يعمل الشيعة بها وإن وجدت في مصادرهم، ويصرّ البريك على تحميلهم إياها.

ينتقل البريك من المجال الإسلامي الى خارجه، ويشمل كل الطوائف والفرق والأمم من غير المسلمين. ومن الثابت في الأدبيات السلفية، وليس وحدهم في ذلك، أن أتباع الديانات الأخرى جميعاً كفّار، وأن الخلاف يقع فيمن يصدق عليه كافراً حربياً أم كافراً غير حربي.

من بين تلك الفئات ما وصفهم بأعداء الأمة في الداخل وقال عنهم بأنهم (أشد فتكاً بها وأشرس عداوة، إنهم قوم يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر والإلحاد). ومن أعمالهم حسب البريك أنه (ليس للدين قيمة في حياتهم، فلا يحلون حلالاً ولا يحرّمون حراماً، همهم وغايتهم خلخلة ثوابت المجتمع الإسلامي ووحدته ..ووأد شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر..). وفي إشارات واضحة الى الكتّاب في الصحف المحليّة من غير التيار السلفي، كقوله (وتسخير ما في أيديهم من وسائل إعلامية لتحقيق مخططاتهم. يجعلون الدين وتعاليمه سخرية

يتلاعب بها كتابهم، بل ولربما أظهروا سنن المصطفى عليه الصلاة والسلام ـ كاللحية وغيرها ـ بصورة طرائف بأشكال كاريكاتيرية ، لتنفير الناس عن الإسلام وعن هدي النبي صلى الله عليه وسلم)[١٣]. فهؤلاء من شملهم البريك بحكم الكفر والالحاد؟

في خطبته بعنوان (الفكر التكفيري) يوجّه البريك نقداً شديداً على الذين قالوا بأن (التكفير والخروج منهج صحيح)، ونسي ما أسّس له من آراء تؤدي الى تأصيل الفكر التكفيري، باستثناء أن تكفير البريك مع وقف التنفيذ، وغيره من عناصر تنظيم القاعدة يكفّرون مع ترجمة الأقوال التكفيرية الى أفعال تفجيرية[١٤].

في قراءة لمفاعيل الفكر المتطرّف، يضيء البريك على العام لينتقل منه الى الخاص، لبيان ما أصاب النظام السعودي من ويلات، ثم يحمّل جهة ما مجهولة مسؤولية التفسيرات الخاطئة للنص الديني، فهو حين يشير الى (فئة تتمسك بظواهر النصوص دون فهم وفقه يكفّرون مجتمعات المسلمين دون النظر إلى شروط التكفير وموانعه)، هو بلا شك يشير الى الفئة التي كانت تمارس التفجير والسيارات المفخّخة والقتل، ولكن حين يدور الكلام عن مصادر الإلهام العقدي والمنابع الأيديولوجية لهذه الفئة المؤلّفة في أغلبيتها الساحقة من عناصر سعودية، ووهابية حصرياً، يغفل البريك هذا الجانب ويلقي ضوءاً كثيفاً على آثار الفكر التكفيري. يقول البريك (لقد أخرج سلفنا الناس من ظلمات الكفر والشرك إلى نور التوحيد..). فهذه العبارة كفيلة بأن تصوغ موقفاً متطرفاً يصحبه عمل عنفي.

الهدف من كل ماسبق هو للوصول الى النقطة التالية: (ولا نزال بخير ما دمنا خلف ولاة أمرنا، فحاجتنا إليهم فوق كل حاجة، لأنهم جنة لمن خلفهم ، وإن ما ميّز أهل السنة والجماعة عن أهل البدعة والفرقة، أنهم لا يخلعون يداً من طاعة وينصحون لمن ولاّه الله أمرهم ويكثرون الدعاء له، حتى ولو رأوا ما يكرهون)[١٥].

هناك نزوع نحو تحميل الآخر مسؤولية التكفير والتفجير، وتبرئة الذات. ففي خطبته بعنوان (تفجير مقر الأمن العام بالرياض)، يقول البريك (لقد كشفت الأيام أن التكفير والإغتيالات في مصر بدأت بفكر السراديب مروراً بفتاوى التكفير وانتهت إلى الاغتيالات وسفك دماء لأبرياء ولم تنته إلا بالتوبة والتجرد من الهوى..)، وكذا الحال في الجزائر. ثم يقول (والمتأمل لحال هؤلاء الذين جعلوا السيف منهجهم في التغيير وألزموا الأمة بهذا الاتجاه؛ يوقن أن حالهم لا يختلف عن حال كثير من أهل البدع الذين خالفوا أهل السنة في كثير من أبواب الاعتقاد بناءً على قصورهم الفقهي والاجتهادي في جمع أطراف المسألة وإحكام جوانبها الأخرى). ويؤسس بذلك لموقف دفاعي عن منهج التعليم الديني والمؤسسات الدعوية الوهابية، فقال بأنها (تطبق وتمارس منذ قيام هذه الدولة المباركة وتخرج منها كل من يسير على أرض هذه البلاد من شباب وكهول وبنين وبنات من علماء ومفكرين وأطباء ومهندسين ومثقفين ومؤرخين على مختلف الميول والثقافات والأطياف الفكرية)، كل ذلك يتم في عملية خلط واختزال لموضوعة التكفير ودور منهج التعليم الديني حصراً في نشأة التيارات المتطرّفة والجماعات الإرهابية، والأنكى مطالبته بما وصفه (تفعيل دور المؤسسات الدعوية داخل المجتمع..)![١٦].

في جانب آخر، كثيراً ما يذكر البريك (ولاة أمرنا) في خطبه بمناسبة وغير مناسبة، ويدافع عنهم بطريقة توحي بعلاقة خاصة تربطه بهم، تتجاوز مجرج تبني حرمة الخروج عليهم، والوقوف معهم، وطاعتهم، بل أكثر من ذلك، الى التماهي مع السلطة السعودية، ما يؤكد على أنه "شيخ بلاط".

وقد خصّص البريك خطباً ومقالات للدفاع عن آل سعود، وتحريم الخروج عليهم، بل وتحريم التظاهر في دولتهم. ففي سلسلة محاضرات متوالية تحدّث البريك عن وجوب طاعة ولاة الأمر وتحريم الخروج عليهم، وحذّر ممن أسماهم (المنافقين الذين يريدون إفساد العباد والبلاد والعبث بالأعراض باسم الإصلاح والحرية والعدل). وقال بأن الحديث عن الوطنية وحب الوطن هو حديث عن (تكاتف الناس حول ولاة أمرهم..). وأفرد جزءاً من إحدى خطبه للتشديد على (وجوب طاعة ولاة الأمر)، وأسّس لذلك بقاعدة (أن من عقيدة أهل السنة والجماعة لزوم الجماعة)، وأن من شروط لزوم الجماعة طاعة ولاة الأمر. ولكن السؤال: من يقول بأن الدولة السعودية تحقّق مفهوم الجماعة حتى يستحق ولاة أمرها الطاعة؟ وهل هناك من يعتني بقيمة الإجماع القهري!

ما يهدف البريك إليه من اشتراط طاعة ولي الأمر هو عدم الخروج عليه والإكتفاء بالنصح له (في السر) ومنه (الدعاء له بالتوفيق والهداية وصلاح النية والعمل والبطانة..). وقد أثبتت التجارب أن الدعاء له لم يغيّر من سوء حال ولي الأمر السعودي، فقد ساءت الأحوال، وعظم البلاء، وغمر الفساد طبقة ولاة الأمر وشمل ذلك البطانة..فما الحل؟ لا يجد البريك سوى جواب واحد: (فلا يجوز للمسلمين منازعة ولاة أمورهم المسلمين ولا الخروج عليهم إلا إذا رأوا كفراً بواحاً قائم البرهان..)، وحتى لو حدث وانكشف الكفر بالبرهان فإن الحل ليس بالخروج (لأن الخروج على ولاة الأمور يسبب فساداً كبيراً وشراً عظيماً..). بكلام آخر، إن الصبر على جور ولي الأمر مقدّم على بواح كفره. وكالعادة، لا يعدم مشايخ الوهابية الأمثلة لتبرير طاعة السلطان من خلال ذكر شواهد من دول العالم القريب والبعيد، للتحذير من الوقوع في الفتنة، الناجمة عن الخروج على الدولة أو إنهيار السلطة الحاكمة. وقال البريك (وقد اتفق أهل السنّة والجماعة على أنّ قتال الحكّام حرام، لما يؤول إليه من الفتن، وقد صار هذا أصلاً من أصول أهل السنّة والجماعة، يتواصون به قرنًا بعد قرن)[١٧]، وفي الواقع هو رأي المدرسة الحنبلية على وجه الخصوص.

وينطلق البريك من ممالأته لآل سعود للتصويب ضد التيار الليبرالي وراح يغالي في التودّد لآل سعود والتماهي معهم بقوله (لا وألف لا أن العلماء وطلابهم والغيورين على هذه البلاد هم من يدعون لخادم الحرمين وولي عهده والنائب الثاني في سجودهم وقنوتهم وهم الذين يؤلفون قلوب رعيته عليه ويحبون ويكرهون من يعادون ويعدون ذلك قربه وعباده ولو علموا دعوة مستجابة لصرفوها له)[١٨]. وتصوّروا لو أن شخصاً من مذهب آخر استعمل عبارة (يدعون لأولياء في سجودهم وقنوتهم) ماذا سيكون موقف البريك وأهل دعوته؟!

وفق تلك الرؤية العقدية الصارمة إزاء الموقف من الحكّام، يضيء

البريك على حكم التظاهر، الذي أفرد له مساحة وازنة لنقض حق التظاهر بكل أشكاله، والإقتصار على وسيلة واحدة في التعبير وهي المناصحة في السر. وانطلاقاً من مبدأ (المحافظة على الجماعة) يفرض البريك ضوابط صارمة في التعبير عن الرأي، منها ما يعتبره جائزاً شرعاً، أو الوصول الى ماهو ممنوع في الشرع. وخلص الى أن المظاهرات لا تنطبق عليها الضوابط الشرعية، ولذلك (فهي محرمة لأنها تعطل مصالح الناس وإلحاق الأذى بالأبرياء). وزاد على ذلك، وهنا يتحقق الربط بموضوعنا، أن اعتبر (المظاهرات مدعاة للخروج. ومن أصول أهل السنة ، تحريم الخروج على ولاة الأمر ما داموا على الإسلام، ولم يضيّعوا دولتهم ودينهم، ولو ارتكبوا مع ذلك المعاصي أو إختصوا عن المسلمين بحظوظ الدنيا). وسرد آراء وفتاوى علماء الوهابية إزاء المظاهرات. ومن الطبيعي أن لا يجيز هؤلاء التظاهر لأنها موجّهة في جانبها الآخر للطرف الآخر من السلطة، وهم العلماء. ويقول بأن عدم عمل الناس بفتوى هيئة كبار العلماء المحرّمة للتظاهر، فإن ذلك يؤشر على أمرين: جناية الليبرالية على أمن المجتمع الفكري، من خلال مهاجمتها لسنوات عديدة لكبار العلماء، وخطورة الدعوات والمناهج الحزبية التي تلبس اللبوس الشرعي.

واعتبر البريك أن (الرافضة هم وراء الدعوة الى ثورة حنين) على أساس أن وراءها شخص يدعى (الدكتور حنين محمود القدو) وهو شخص عراقي لا علاقة له من قريب أو بعيد بالدعوة الى ثورة حنين سوى الإسم المشترك بين الطرفين. والرجل هو الأمين العام لتجمع الشبك الديمقراطي في العراق، والشبك هم جماعة قومية تسعى للمطالبة بالإعتراف بها ككيان إثني له خصوصياته الثقافية والحضارية والاثنولوجية. وذكر البريك أسماء أخرى ليس فيه من أحد معروف سوى سعد الفقيه، من قبيل محمد صبيح (مصري الجنسية)، وحسين علي ابراهيم، ومحمد أحمد الموسوي (إيراني الجنسية)، وأحمد علي الخضري. ولا أعلم إن كان البريك يعتمد ذات المنهج في التحقيق في كل أموره على غرار هذا النوع من التساهل في نشر الأسماء دون التحقّق من صحّة وجودها كحقائق فضلاً عن دعوى مشاركة هذه الأسماء فعلياً في تنظيم ثورة حنين. والهدف كما يقول البريك (أن الهدف من زعزعة الأمن والاستقرار في المملكة بالتظاهرات وغيرها، هو زعزعة الاستقرار في المملكة خدمة للمشروع الصفوي في الهيمنة). والسبب (إن الخروج بالكلمة محرم، والتظاهرات هي من هذا القبيل)، على أساس أن (الخروج بالسيف فرع عن الخروج باللسان والقول..). ولذلك عارض البريك حتى عرائض الإصلاح، واعتبرها من مصاديق (زعزعة الأمن) و(شق الصف)، و(تأجيج أوار الفتنة) و(صب الزيت فوق النار)[١٩]. ما الحل؟ الجواب: مناصحة الولاة والإنكار عليهم في السر وليس الجهر!

حمل البريك على من طالب بتصحيح المنهج الدينية الرسمية وقال بأنهم (أذناب الغرب، زبانية الفتنة، معاول، جراثيم معدية وأجسام موبوءة، انتهازيون حاقدون، منافقون، كاذبون، أسافل، أقزام، أقلام مأجورة، قوم مارقون)، وأنهم (تنكّروا لدينهم وأمّتهم ومبادئهم...)، وأنهم (يريدونَها فتنةً عمياء، ويبغونها حياةً عوجاء..)[٢٠].

البريك والحوثيين: بوصلة التوجيه الكفري

قراءة ما كتبه البريك عن الحوثيين توصل الى نتيجة واحدة: أن تكفير الجماعة يجيز التساهل في قبول ما يقال عنها، والحكم عليها بصرف النظر عن الصحة والسقم، فثمة حكم عقدي قبلي يطلق العنان لتوصيم الجماعة، ويحرّر المخالف من ضوابط الحكم بالكفر على الآخر. وحقيقة الأمر، أن البريك لا ينال من الحوثيين وحدهم، بل هو يجعلهم غطاءً للنيل من أتباع المذهب الزيدي والفرق الشيعية عموماً.

يتخلى البريك عن صفته كباحث عن الحقيقة، ويتقمّص دور الايديولوجي الذي يقبل كل رواية دون تمحيص، ويصوغ رؤية عن الآخر مشحونة بصور المؤامرة. فهو يرى بأن الحوثيين خضعوا تحت تأثير الشيعة الإثني عشرية وإيران في مجال العقائد، واستهجن التقارب بين الزيدية والاثني عشرية في إنكار رؤية الله عز وجل وغيرها. ويبدا البريك كما لو أنه حريص على الزيدية، وعاب على السيد بدر الدين الحوثي عدم التزامه بأقوال السابقين من علماء الزيدية، وكل ذلك بالإعتماد على كتاب (التشيع في صعدة) الواقع في ثلاثة أجزاء لمؤلف مجهول يدعى مجاهد، عبد الرحمن بن عبد الله[٢١]. ويظهر البريك تحامله الواضح على الحوثيين والزيدية بصورة عامة، ويأتي في سياق حركة الشيخ مقبل الوادعي (توفي سنة ٢٠٠١) في دمّاج في محافظة صعدة، معقل المذهب الزيدي، لجهة تحويل أتباعه الى الوهابية، وقد تبيّن من أحداث دمّاج الأخيرة التي جرت في الربع الأخير من العام المنصرم (٢٠١١) أن الوهابية في هذه المنطقة أرادت تحويل دمّاج الى مركز تبشير مذهبي مدعوم بالسلاح والمال من السعودية، من خلال معهد (دار الحديث) الذي أسّسها الشيخ مقبل الوادعي قبل موته، وكان الهدف هو إبادة المذهب الزيدي من صعدة واليمن عموماً، حيث تحوّل المعهد الى ما يشبه ثكنة عسكرية على غرار مدارس طالبان في أفغانستان.

وقد كشف كاتب أميركي يدعى ثيو بادنوس في كتابه (متنكراً كمسلم) بعد ثلاثة أعوام قضاها في المدارس السلفية في اليمن منها معهد دار الحديث بدمّاج بمحافظة صعدة، عن أسرار المعهد. وبالرغم من ضحالة معرفة المؤلف بالإسلام والفرق الإسلامية، إلا أن ما نقله من داخل المعهد يتطابق مع ما تكشّف في الحوادث الأخيرة في دمّاج عن الطبيعة العسكرية للمعهد. وقال بادنوس في مقابلة له نشرتها صحيفة (بازلر تساتونج) في ٦ شباط (فبراير) ٢٠١٠ بأن في المعهد (معظم الطلاب هناك يعانون من وهم العظمة ويعتقدون أنهم في يوم ما يمكنهم أن ينقذوا الإسلام). وقد كشفت مواقع جبل براقة العسكري المطل على دمّاج عن تسليح للطلاّب السلفيين في معهد دار الحديث، وهذا ما تثبّت في وثيقة المصالحة التي أعدّها المجلس الوطني.

وبحسب تقرير صادر عن (منظمة سواء للدفاع عن حقوق الأقليات ومناهضة التمييز) وهي منظمة يمنية أهلية، فإن السلفيين في دمّاج يبلغ عددهم ٩٠٠٠ فرداً غالبيتهم من خارج المحافظة، وقد أعلن معظم أطيافها ـ أي السلفيه ـ في اليمن وقوفها إلى جانب الرئيس علي عبد الله صالح في الاحتجاجات التي خرجت تطالب بإسقاط نظامه خلال العام

٢٠١١، واعتبرت الاحتجاجات السلمية خروجا عن طاعة ولي الأمر). وبحسب التقرير (خلال سنوات الحروب الستة أبدت الجماعة السلفية في دماج دعما لوجستيا للحرب التي تشنها الحكومة ضد الحوثيين وإن لم تعلن ذلك للرأي العام..)، وتعبر الجماعة الحوثيين كفاراً زنادقة، كما جاء في فتوى مدير المعهد يحي الحجوري. وقد تحوّل المعهد الى ما يشبه فصيل مسلّح في الآونة الأخيرة، ويقول محمد عبد السلام، الناطق بإسم عبد الملك الحوثي، (كان مركز دماج مركزاً تعليمياً لا يتدخل في إطار القضايا الموجودة في المنطقة رغم أنه كان يشارك في الحروب علينا ويساند النظام لكن ما إن تتوقف الحرب يتوقفون شأنهم شان الجبهة العسكرية الكاملة). ولعل من الاشارات البليغة عن تسلّح الجماعة السلفية في دماج هو تقارب عدد القتلى بين الطرفي. فبحسب احصائيات منظمة سواء فإن (إجمالي القتلى بين الطرفين ١٣٦ قتيلا بينهم مواطنون مقيمون في دماج حيث سقط من السلفيين والمواطنين ٧٤ قتيلا فيما قتل من الحوثيين ٦٢)، إذ من غير المعقول سقوط العدد الكبير في صفوف الحوثيين عن طريق الخطأ، أو في حوادث سير، تماماً كما هو حال قتلى الطرف السلفي.

حقيقة الأمر، أن الافتراء على الآخر ـ المخالف ـ الخصم، في عقيدة البريك، جائز طالما أن في ذلك إنتصاراً للمذهب الحق. فقد استقبل البريك الإتهامات ضد زعيم الحوثيين السيد بدر الدين الحوثي كما لو أنها مسلّمات، ونقل عن مجلة معروفة بميولها الوهابية الواضحة بأن السيد الحوثي ـ الأب، إدّعى (الإمامة، وقيل "المهدية"، وقيل "النبوة") فيما لا يقبله عقل حر[٢٣].

الغريب أن البريك لم يقبل من الحوثيين حتى شعارهم ضد أمريكا، واعتبر بأن ذلك جزءٌ من المؤامرة. وأن أمريكا هي سلّحت الحوثيين لمحاربة النظام اليمني. وقال بأن السفارة الأميركية في صنعاء قامت بشراء الأسلحة من القبائل وأسواق السلاح المنتشرة وفي صعدة بالذات تحت ذريعة إنهاء معالم التسلح في البلاد، دون أن توضح مصير تلك الأسلحة، والتي يذهب البعض إلى أنها قدمت عبر وسطاء للحوثي وأتباعه! وحتى يؤكّد ما يتوهّمه وكيما تعمل الماكينة الإيديولوجية بأقصى طاقتها يجنح البريك للقول (إن أمريكا لم تكن في يوم من الأيام عدواً للحوثي، كما لم يكن الحوثي وأتباعه أعداء لها..)، والمصدر في كل الحالات واحد، مجلة (البيان) الوهابية[٢٤].

المصادر

١ ـ الشيخ إبن تيمية، مجموع الفتاوى، جمع وترتيب عبد الرحمن بن محمد بن قاسم بمساعدة إبنه محمد، مكتبة المعارف، الرباط ـ المغرب، المجلد الثالث ص ١٦٣

٢ ـ الشيخ سعد البريك، إسلامية وكفى ـ ١، اضيف بتاريخ[٢٠٠٦-٠٥-٣٠] أنظر الرابط:

http://www.saadalbreik.com/Sad/news.php?action=show&id=57

٣ ـ السلطان عبد الحميد الثاني، مذكراتي السياسية (١٨٩١ ـ ١٩٠٨)، مؤسسة الرسالة، بيروت الطبعة الثانية ١٩٧٩، ص ٣٧

٤ ـ المصدر السابق، ص ١٣٤

٥ ـ المصدر السابق، ص ١٤٢

٦ ـ أنظر الرابط

http://www.youtube.com/watch?v=ydTSy0isLpM

٧ ـ الشيخ سعد البريك، إسلامية وكفى ـ ٢ ـ، أضيف بتاريخ [٢٠٠٦-٠٥-٣٠]، أنظر الرابط:

http://www.saadalbreik.com/Sad/news.php?action=show&id=58

٨ ـ حمادي الرّديسي أسماء نويرة، الرد على الوهابية..في القرن التاسع عشر، نصوص الغرب الإسلامي نموذجاً، ، دار الطليعة، بيروت، الطبعة الأولى ٢٠٠٨، ص ٧

٩ ـ الشيخ سعد البريك، إسلامية وكفى ـ ٣ ـ أضيف بتاريخ [٢٠٠٦-٠٥-٣٠]، أنظر الرابط:

http://www.saadalbreik.com/Sad/news.php?action=show&id=59

١٠ ـ الشيخ سعد البريك، أفعال الفكر التكفيري، اضيف بتاريخ [٢٠٠٨-٠٥-٠٦]، أنظر الرابط:

http://www.saadalbreik.com/Sad/news.php?action=show&id=34

١١ ـ الشيخ سعد البريك، جناية الفكر المتطرف، اضيف بتاريخ [٢٠٠٨-٠٥-٠٦] أنظر الرابط:

http://www.saadalbreik.com/Sad/news.php?action=show&id=36

١٢ ـ الشيخ سعد البريك، أيها الشيعة تعالوا إلى كلمة سواء، اضيف بتاريخ [٢٠٠٨-١١-٠٩]، أنظر الرابط:

http://www.saadalbreik.com/Sad/news.php?action=show&id=81

١٣ ـ الشيخ سعد البريك، واقع الأمة وكيد العلمانيين والكفار، أضيف بتاريخ [٢٠٠٨-٠٥-٠٧]، أنظر الرابط:

http://www.saadalbreik.com/Sad/news.php?action=show&id=145

١٤ ـ الشيخ سعد البريك، الفكر التكفيري، أضيف بتاريخ[٢٠٠٨-٠٥-٠٧] أنظر الرابط

http://www.saadalbreik.com/Sad/news.php?action=show&id=141

١٥ ـ الشيخ سعد البريك، جناية الفكر المتطرف، أضيف بتاريخ [٢٠٠٨-٠٥-٠٧]، أنظر الرابط:

http://www.saadalbreik.com/Sad/news.php?action=show&id=142

١٦ ـ الشيخ سعد البريك، تفجير مقر الأمن العام بالرياض، أضيف بتاريخ [٢٠٠٨-٠٥-٠٧]، أنظر الرابط:

http://www.saadalbreik.com/Sad/news.php?action=show&id=136

١٧ ـ الشيخ سعد البريك، نعمة الأمن ووجوب طاعة ولاة الأمر وتحريم الخروج عليهم، أضيف بتاريخ ٢٠١١/٣/١٦، أنظر الرابط:

http://www.saadalbreik.com/Sad/news.php?action=show&id=442

١٨ ـ الشيخ سعد البريك، محاضرة بعنوان (الليبرالية وكبار العلماء) بتاريخ ٢٠١١/٢/١٣

http://www.saadalbreik.com/Sad/downloads.php?action=show&id=79

١٩ ـ الشيخ سعد البريك، الحِكَم الواضحات في تحريم المظاهرات..تنبيه الأنام بطريقة نصح الإمام، ٠٣-١٦-٢٠١١، أنظر الرابط:

http://www.saadalbreik.com/Sad/news.php?action=show&id=441

٢٠ ـ الشيخ سعد البريك، أجرة العقول والمناهج، أضيف بتاريخ ٢٠٠٨/٥/٦، أنظر الرابط:

http://www.saadalbreik.com/Sad/news.php?action=show&id=132

٢١ ـ حول كلام البريك عن الحوثيين أنظر الرابط:

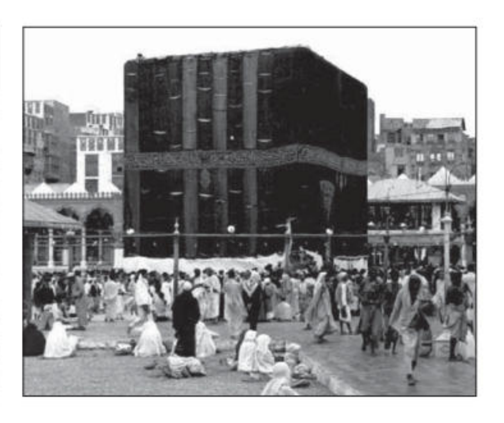
http://www.saadalbreik.com/Sad/downloads.php?action=show&id=47

٢٢ ـ أنظر نص المقابلة الأصلية على الرابط التالي:

http://hvv.amsterdampost.nl/HVV/www.hetvrijevolk.com/index3042.html?pagina=10603

٢٣ ـ نقلاً عن: العالم الإسلامي تحديات الواقع واستراتيجيات المستقبل (تقرير عن مجلة البيان) ثمار التغلغل الرافضي المرة– أنور قاسم – ص: ٤٠٠

٢٤ ـ المصدر السابق، ص ٤١٠





رحلة المغربي أبو سالم العياشي الى الحجاز

عبدالهادي التازي

أبو سالم عبدالله بن محمد بن أبي بكر العياشي، المتوفى سنة ١٠٩٠هـ/ ١٦٧٩م، هو من أعيان علماء المغرب من الذين تركوا لهم بصمات بارزة في التاريخ المغربي. وقد حج ثلاث مرات، أعوام ١٠٥٩هـ، و١٠٦٤هـ، و ١٠٧٢هـ/ ١٦٤٩ و١٦٥٣ و١٦٦١م. وعن الحجة الثالثة ألّف (رحلته) قصد أن تكون ـ الى جانبها الموضوعي ـ ديوان علم، وبذلك طالت حتى استوعبت سفرين... وتعرف بالرحلة الكبرى، وتحمل عنواناً هو (ماء الموائد). وله رحلة تعرف بالرحلة الصغرى، وربما حملت عنوان: (التعريف والإيجاز ببعض ما تدعو الظروف إليه في طريق الحجاز).

هذه الرحلة المغربية كتبها لتلميذه أحمد بن سعيد المجيلدي وهو في بدء طريقه للحج سنة ١٠٦٨هـ/ ١٦٥٨م، حيث زوده بإرشاد عن الأمتعة التي يصحبها معه، وعن طريق الحج ومنازله، وعرّفه بمراكز المياه الصالحة، وبالمشتريات النافعة، مع الأعلام الذين يأخذ عنهم، والمزارات التي يقصدها. وقد ترجمها الى اللغة الفرنسية الأستاذ محمد الأخضر.

ولهذه (الرحلة) مخطوطات بالخزانة العامة بالرباط: الأولى تحت رقم ٤٣/ ك، والثانية رقم د ٢٧٩٣، والثالثة رقم ٢٨٣٩، وهناك نسخة رابعة بمكتبة مؤسسة علال الفاسي تحت رقم ٤٦٧ ع ١٨٢. أما الرحلة الكبرى، فهي منشورة بالمطبعة بفاس سنة ١٣١٦هـ/ ١٨٩٨ـ١٨٩٩م، وقد أعادت نشرها، في الرباط بالأوفسيت سنة ١٣٩٧هـ/ ١٩٧٧م، دار المغرب للتأليف والترجمة والنشر. وقد اجتذبت (الرحلة) العياشية اهتمام الأستاذ الفرنسي بابروجير، فترجم قسماً منها الى الفرنسية نشر في مجلة جزائرية.

وتعد رحلة العياشي (ماء الموائد) من أهم الرحلات المغربية وأكثرها انتشاراً؛ لأنها أكثر مادة وتنوعاً، وقد طفق الرحالون من اللاحقين ينقلون عنها من دون أن يرجعوا الى مصادر أخرى أحياناً. ومن هنا نرى أن الإهتمام بها يعدّ اهتماماً بجل الرحلات التي تلتها. لقد فضل أبو سالم عبدالله العياشي أن يقصد مكة أولاً قبل المدينة؛ ثم يقوم بزيارة المدينة ليجاور فيها قبل أن يعود الى مكة مرة أخرى، وبهذا كان له من الوقت ما يكفي ليستوعب الموضوع.

وقد عرفنا من خلال الرحلات الأخرى أن المغاربة عموماً لا يتصورون أن يقوموا بفريضة الحج دون أن يفكروا في زيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، يعدّون ذلك داخلاً في واجبهم، وعلى نحو ما يقولون: (حجّة وزيارة)، بمعنى أن الحجة كاملة.

لنبق مع العياشي بهذه المناسبة، في مكة عند الزيارة التي قام بها في ذي الحجة من سنة ١٠٧٢هـ/ يوليو عام ١٦٦٢م. لقد وصل مكة آتياً من ينبع عشية يوم السبت خامس يوم من الشهر المذكور، أول يوم من السمائم (١٢ يوليو الفلاحي/ ٢٥ يوليو)، وكان العياشي يشتكي من شدة الحر عند الطواف في النهار. ويسجل العياشي أن الركب المصري دخل مكة قبله في اليوم الرابع، والركب الشامي في اليوم السادس؛ ملاحظاً أن أهل هذا الركب عانوا من قطاع الطرق (الحرامية) شدة، حتى أشرفوا على الهلاك! ودفعوا للأعراب مالاً كثيراً نحو مائة ألف بعدما انتهب من ركبهم كثير وقتل أناس. وقد وصل الركبُ العراقي في اليوم الثامن.

اضطر أصحاب العياشي الى النزول وسط المقبرة بالحُجون، إذ لم يجدوا مكاناً غير ذلك، والركب قد ملأت خيامهم السهل والوعر... قبل أن يكتروا منزلاً بقرب باب إبراهيم من صاحبه الشيخ محمد الغدامسي باثني عشر ريالاً تاركين الخباء والربل بالحجون. بعدها أتى العياشي

الى المسجد وقد حان الغروب، وكادت تطير من الفرح القلوب، فيقول: (فدخلنا فرحين مستبشرين من باب السلام، وشاهدنا البيت العتيق الذي تزيح أنواره كل ظلام، وقد تدلت أستاره وأشرقت أنواره، وقد شمّر البرقع عن أسافله، حتى لا يكاد الطائف يناله بأنامله، يفعلون ذلك به في أول ما تقدم الوفود، ولا يطلقون الأستار حتى تعود). وهنا جادت قريحة العياشي بأبيات في المعنى ظلت بدورها مرجعاً لمعظم الكتاب من الحجاج:

فكأنه لما بدا متشمّراً   والزائرين به جميعاً أحدقوا
ملك همام ناهض للقاء   من قد زاره ولهم إليه تشوُّقُ
فتبادر الغلمان رفع ذيوله   حتى إذا رجعوا جميعاً أطلقوا

ويقول: (ولما وقعت عليه أبصارنا، وافتضح ما أكنّته من الشوق إليه أسرارنا، اقشعرت جلودنا من هيبته، وذهلت العقول من عظمته، فلم تزد على أن بسملنا وسلمنا وهللنا). ويقبّل العياشي الحجر الأسود، ولم يبال بما ناله من الإزدحام (والمورد العذب كثير الزحام) ويطوف ويقف بالملتزم ويشرب من ماء زمزم، ويخرج لقضاء شعيرة السعي من باب الصفا، ثم يأتي المروة في زحام كثير في السعي؛ لأنِ المسعى كان من أسواق البلد العظيمة فكان الساعي يتضرر بذلك كثيراً. وهكذا يرفع العياشي عقيرته بالشكوى من وجود هذا السوق في المسعى قائلاً: (ولو قيّض الله الأمراء لمنع الناس من التسوّق في أيام الموسم لكان في ذلك نفع كثير). وسنلاحظ أن هذه الشكوى ظلت حديث الحجاج.

لقي العياشي في مكة المكرمة شيخه العلامة أبا مهدي عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري المغربي المجاور الذي خصص له من (رحلته) حيزاً كبيراً كان يستحقه، ولم ينفك ذاكراً له مشيداً به، ويذكر العياشي أنه من وطن الثعالبة، من عمالة الجزائر بإفريقية، وهم ينتسبون الى الإمام جعفر بن أبي طالب. وعلى ذكر شيخه أبي مهدي عيسى نجد من المفيد أن نذكر هنا اسماً لامعاً، وجسراً مهماً من الجسور التي ربطت بين المغرب والحجاز ممن حظي من العياشي كذلك بترجمة واسعة له عريضة، على الرغم من أنه كان على طرفي نقيض من شيخه أبي مهدي، إنه الشيخ ابن سليمان الروداني، وكلاهما صالح الحال ديانة ووفور علم. وقد أجمل العياشي الحديث عنه في ثلاثة أسطر شرحها فيما بعد متوقعاً المصير الذي كان ينتظر العلامة الروداني، قال العياشي:

(ربما عاب كل منهما على الآخر ترك ما عاب عليه فعله، وقد قلتُ للروداني ذات يوم: إن سيدي عيسى يقول: ما أحسن فلاناً لو أنه كف عن غرْبه (جدته) شيئاً وألان جانبه للخلق. فقال لي: وأنا أقول: ما أحسنه وأعلمه لو انقبض عنهم شيئاً وترك مداهنتهم في الحق). ويتطوع العياشي بشرح هذه الجمل والأصداء تصله بالمصير المحزن الذي كان ينتظر العلامة الكبير الروداني.

وكان لا بد أن يعود العياشي الى الإهتمام ببعض العفش الذي تركه في الحُجُون، ليذكر أنه على الرغم من أنهم تركوا معه بعض الأصحاب لحراسته، فإنه يتعرض لهجوم السراق بالليل!! إن هؤلاء السراق يعظم أذاهم في أيام الموسم لقلة الحكم بتهاون الحكام، وإرخاء العنان للسراق في ذلك، وقد قيل: إنهم أي الحكام، يأخذون من السراق جُعلاً على ذلك في أيام المواسم! فإذا جنّ الليل أخرجوه!! وأما في غير الموسم فإن الحكم في تلك البلاد تام، ولا يوجد مثله في بلد من البلاد. والحكم يعتلون في أيام الموسم باختلاط الناس من جميع الآفاق، وتعدّد الحكام والرؤساء؛ إذ لكل ركب حاكم، ويقولون: لو أطلقنا اليد للحكومة على كل سارق ربما وقعنا في بعض خدام أمراء الأركاب، فيؤدي ذلك الى هرج أيام الموسم.

ويعلق العياشي على هذه الحجج بأنها ضعيفة، وأنها لا تبرر انعدام الأمن في أقدس مكان نعته القرآن بأنه مثابة الخائفين ومأمن القاصدين.

وفي اليوم الثامن رحل العياشي ومن معه الى منى حيث نزلوا على مقربة من مسجد الخيف في سفح جبل ثبير، وهناك قضوا ليلهم على ما هو. ويتأكد يوماً عن يوم أن العياشي فقيه متضلع، وأنه مالكي ملتزم، لذلك فإنه يعلق على كل النوازل الفقهية التي تمر من حواليه، ولا يترك شاذة ولا فاذة إلا أعطى فيها رأيه دون ملل وبروح علمية موضوعية أمينة. ومن الطريف أن نجده يستأنس بابن رُشيد والعبدري ومن بعدهما... ويتجلى من خلال هذا أن العياشي كان يعتمد على بعض الرحالين الذين سبقوه لزيارة تلك البقاع.

ارتحل العياشي الى عرفات يوم الأربعاء حيث وقفوا على إبلهم في يوم شديد الحرارة (٢٦ يولوي ١٦٦٢م) انتهى بنزول أمطار كسرت سورة الحر، وأعقبها نسيم بارد؛ لكن العياشي يؤكد أنه لم يسمع حرفاً واحدا من خطبة الإمام على نحو ما سنقرؤه في بعض الرحلات، وهو الأمر الذي جعلنا نحمد الله اليوم على ظهور المكبرات والشاشات.

يتحرك العياشي من هذا الموضع الى ذاك من عرفات رجاء بركة الواقفين واستمر على ذلك حتى غابت الشمس ونفر في أخريات الناس. ومرة أخرى يحكي أنه لما غاب القمر، وهو بالمزدلفة أخذ السراق يرمونه بالأحجار من الجبل القريب منهم. لكن الله كفاهم شرور هؤلاء اللصوص.

ثم تحرك الى مكة حيث يقوم بالمناسك الى أن يهيء الله له من يحلق له بطريقة شرعية. وهنا يلاحظ أن الحلاقين يكثر عليهم الزحام، فلا يستوعبون الرأس بالحلق ولا يحسنونه... إنهم ـ طلباً للتفرغ للآخرين، واستكثاراً في الأجرة ـ لا يكملون عملهم... وكانت هذه ملاحظة آخرين غير العياشي.

وتمكن العياشي ومن معه من دخول البيت الحرام قبل أن يغلق، وأضاف بإنهم يفتحونه هذا اليوم لتعليق الكسوة الجديدة، ولا ينصب سلّم للدخول، وإنما يدخل من تكلف للصعود بمعين أو بخفة أعضاء. وكانت فرصة له ليصف داخل البيت الحرام بما أعتدنا أن نقرأه في المؤلفات الجارية، وقد أورد رسماً للبيت العتيق في الرحلة مما يؤكد الحس العلمي عند العياشي.

يقول العياشي: إن إمعان النظر في داخل البيت الحرام يعتبر من قلّة الأدب. وهو ما قاله بعض من قبله ويردده بعض من بعده. وبعد العودة الى منى والمبيت بها، يخبرنا بأنه من الغد عمرت الاسواق، وكثر الأنفاق، وتزاحم الناس على الشراء رجاء بركة ذلك المكان. وبعد الفراغ من الرمي زار منزل أبناء شيخه تاج الدين، فصادف عندهم شيخه أبا مهدي عيسى الثعالبي، حيث مكث عندهم برهة من الزمان حتى حضر الطعام.

ولأهل مكة، وخصوصاً الأكابر من أهل الوظائف كالعلماء والأمراء والتجار، منازل في منى ينزلونها أيام الموسم. قال: (منزل شيخنا تاج الدين المالكي هنا من أحسن المنازل. وبينما نحن جالسون في مصطبته، إذ مرّ أمير مكة الشريف زيد في موكبه، وله شارة حسنة، ومعه طائفة من الأشراف والجند، كان ذاهباً لرمي الجمار، قد ظلل رأسه بمظلة كبيرة من حرير وكأنها قبة خباء، يحملها فارس بجانبه

ويساره وهو في ظلها، والناس يحيونه عن اليمين والشمال، فالعوام يقولون في تحيتهم: نصرك الله يا زيد! والخواص يقولون: السلام عليكم. وهو يرد على كل من حيّاه من وضيع وشريف، ولا يهمل أحداً، ويشير برأسه الى كل من حيّاه؛ وذلك لشدّة تواضعه). ويصف العياشي الشريف زيد بأنه (رجل أسمر اللون، أبيض اللحية، سمح الوجه... أثنى عليه شيخنا أبو مهدي. وهو من أحسن أمراء عصره سياسة وحسن تدبير، ولم تزل الإمارة في أسلافه منذ أعصار متطاولة. وأسلافه هم المشهورون بآل أبي نُمَيّ، وهو بطن في أبي حسن، وإخوانهم بنو حسين لهم إمرة المدينة. وولاية الحجاز الآن بأطرافه، من أطراف اليمن الى أقصى نجد مما يلي البصرة، ثم الى خيبر مما يلي ناحية الشام، ثم الى ينبع، كلها للأمير زيد بن محسن وأسلافه، وليس لبني حسين في ولاية المدينة في هذا الزمان إلا الإسم فقط، وبعض تصرف من تحت يد الأمير زيد، وكان هذا الأمير فيما مضى على معتقد أهل بيته، كاعتقاد الزيدية، ثم رجع الى معتقد أهل السنة، وتمذهب بمذهب الإمام أبي حنيفة).

أسهب العياشي في تقديم الأمير زيد بن محسن الى قراء (رحلته)، ولا سيما أهل المغرب، وهذا ما يؤكد نظريتنا المتلخصة في أن كتابه (تاريخ الحجاز) لا سبيل اليه إلا بالعودة الى المصادر المغربية... وعلى الخصوص الرحلات، وها نحن من الأمير زيد أحد أفراد أسرة أبي نُمي الذي قضى في ولاية مكة أكثر من ثلاثين سنة، ويروي عنه أخباراً غريبة وطريفة لم نقرأها في مصدر من المصادر الأخرى.

ولم يفت العياشي أن يتحدث بدوره، وهو في منى، عن تنافس أهل الشام ومصر في إيقاد المصابيح واتخاذ الخيام. والإكثار من الرمي بالمدافع والبنادق والمحارق المرتفعة في الجو... وكان السلطان زيد يشاركهم على نحو ما يفعلون.

قضى العياشي وصحبه ليلة من أرغد عيش بارد، وأصفى سرور وارد، لولا تشويش السراق عليه برمي الأحجار بعد القمر! إلا أن ذلك، الى جانب ما حصل له من النعيم، ليس بضرر على حد قوله. إن ليالي منى غرر في أوجه الزمان، ومواسم فرح وسرور لأهل الإيمان. وقد تحركت شاعرية العياشي بنظم ميمية في منى:

كل المنى بمنى إذا ما جئتها تكفي النقم
أكرم به من منزل فإليه تجتمع الأمم
فيه تشابهت السما والأرض في داجي الظلم
هذا بأنجمه أضا ء وذاك بالسمع اضطرم
حيث القباب البيض تلـ ـمع مثل نار على علم!!

وأخذ الناس في الرحيل ما بين متعجل ومتأخر... وقد أثنى على صديقه القديم أمير الركب المغربي محمد بن محمد الحفيان الذي كان يلبي الحاجات والرغبات الى صاحب الفقيه القاضي أحمد الخطيب المراكشي. وهنا لقي الشيخ سليمان ابن الشيخ عبدالعزيز الحبشي من مدينة الأحساء، وعقد معه عقد أخوة في الله.... ويقوم العياشي بوصف مسجد الخيف وصحنه وتجديده ومنقوشاته.

وكفقيه عالم، على ما أسلفنا، فإنه لا يفتأ معلقاً، وهكذا نراه على ما روى عن الشيعة بأن نهر الجنة خاص بهم. يعقب أن النهر لهم ولغيرهم من المسلمين، ويفتخر العياشي بأنه نزل المحصب وصلى فيه الظهر والعصر والمغرب والعشاء، وانتقد الحجاج الذين لا يعرفون هذا الموقع القريب من مكة، والذي كان مستراحاً لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

ونزل العياشي بالشبيكة ليلة الإثنين ١٤ ذي الحجة حيث كان ينزل الركب المغربي، الى أن دخل مكة حيث قام بأداء العمرة، وأحرم لها هذه المرة من التنعيم لتعذر الجعرانة من شدة الحر (٣١ يوليو ١٦٦٢م). اجتمع العياشي يوم الأربعاء بالشيخ جمال الدين الهندي، بالمدرسة الداودية، جمعه به شيخه وصاحبه الشيخ علي باحاج اليمني، بعدما كان سأله العياشي عمّن هو اليوم في الحرمين أفضل هذه الطائفة النقشبندية.. (دلّني عليه وعلى رجل آخر من أصحاب الشيخ تاج الدين، إلا أن الشيخ جمال الدين أكثر منه عبادة وزهداً - لا مال ولا أهل). ويخبرنا العياشي أنه أخذ عن الشيخ جمال الدين طرق السادة النقشبنديين ظهر يوم الأربعاء المذكور، واعداً القراء بأنه قد يتحدث عن هذه الطريقة في المغرب الأقصى. وكان من بين ما سجله العياشي مما أثار فضول الأطباء أنه أصابته الحمى بمكة المكرمة في هذه الأيام شديدة الحر والهواء المختنق، وأشد ما يكون الحر بالحجاز في برج السنبلة والميزان (٢٤ أغسطس) أصابته الحمى فاحتجم، فعافاه الله منها.

ووفى العياشي بوعده، فيذكر أنه تلقى الذكر عن طريق السادة النقشبندية، وألبس الخرق الثماني... لقد كان العياشي يستعد للإعتكاف والمجاورة. وهكذا نسجل للتاريخ وجود الطريقة النقشبندنية في المغرب عن طريق الرحالة العياشي الذي ربطها بالطريقة الشاذلية، حيث يستفيض هنا في حديثه حول هذا الموضوع الذي يسلمه الى موضوعات أخرى.

يعود العياشي مرة أخرى ليعتذر عن عدم استيعاب الأماكن الفاضلة التي تزار بمكة، لشدة الحر، واعداً انه سيذكرها عند قيامه بالمجاورة، ومع هذا فإنه يعطي رأيه حول الدار التي يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم ولد فيها، والتي اتخذت مزاراً يجتمع اليها الوفود، وكذا مكان مولد فاطمة في دار خديجة، مختتماً كلامه بما علم من اختلاف الأئمة في القديم والحديث حول مثل هذه الآثار والمشاهد التي لم يرد بها خبر صحيح بمكة والمدينة والقدس، مردداً ايضاً ما ورد عن عبدالله بن عمر انه ارتحل الى المسجد الأقصى، فلما دخله لم يزد على ان صلى ركعتين ودعا ورجع من يومه، ولم يقف الى الصخرة ولا الى غيرها من الآثار والمشاهد مع كثرتها، فلم يتضح من الحديث إلا إتيانه للصلاة به. وهكذا نجد العياش مرة اخرى لا يستسلم للمرويات ما لم يكن لها سند في المصادر الموثوقة.

أخذ الحجاج المغاربة في الرحيل من مكة المكرمة يوم الأحد ٢٠ من ذي الحجة ويسجل العياشي أن اخاه عبدالرحمن تعب في الطريق من شدّة الحر (٥ أغسطس)، وكان أخوه هذا هو السبب في قرار العياشي بأن يبقى هناك للمجاورة. يعود أبو سالم العياشي بعد المجاورة في المدينة الى مكة في شهر الصيام، وهكذا خرج من المدينة ضحى يوم الثلاثاء، وهنا أخذ مرة اخرى ينوه بمكة وما تشتمل عليه من مشاهدة البيت والطواف به وأداء المناسك من حج وعمرة وغير ذلك، وأن الأعمال تضاعف بحرم مكة زيادة على حرم المدينة.

ودعه الأحباب حتى ذي الحليفة، وهاله ركوب الشقدف الذي كان وهبه إياه شيخ الأغوات بالمدينة المنورة، لأنه لم يكن يعهد هذا النوع من المركوب.. محمل كبير ما رأيته - يقول العياشي - إلا في أرض الحجاز، ذو شقين، يوضع كل واحد على جنب البعير، ويقرن بينهما بحبال وثيقة على ظهر البعير ولا بد للراكب في الشقّ من معادلة في الجهة الأخرى مقارناً له في الوزن، ثم يوصل بين الشقين من أعلى بحبال يظلل بغطاء يقي من الحر والبرد، وهو من أشهى المراكب

وأهناها، لا سيما لمن له فرش وثيرة ووسادة يتكىء عليها من الجانبين، فإنه لا يكاد يحس بأن الإبل تسير به، وقد رأينا من اعتاد الركوب فيه ينام من أول الليل الى آخره، ولا يستيقظ إلا بإناخة الجمل عند النزول وقد لا يستيقظ.

كان يعادله في الشقدف أخوه عبدالرحمن، ويشرف على المسير مكار كما هو معلوم. إن ظاهرة الهوادج والشقادف ووسائل النقل في الحجاز تحتاج وحدها الى تدوين. يلاحظ العياشي، أن ما يكون معتاداً أيام الموسم من السرقة والنهب والحرابة يختفي في غير الموسم الذي يجتمع فيه الناس والأوباش من كل مكان.

دخل العياشي مكة المكرمة هذه المرة ليلة الأحد ٢٩ من شعبان/ ٨ ابريل، وأناخ ومن معه في سوق باب ابراهيم أمام رباط الموفق المعد للمغاربة، وهنا بادر الى دخول المسجد والطواف والسعي بين المروتين. ومن المهم أن نأتي هنا على وصف لشاهد عيان للسيل العظيم الذي أتى على مكة المكرمة في ذلك التاريخ. يتعلق الأمر بما أخبر به العياشي مما جرى في شعبان سنة ١٠٧٣هـ/ مارس عام ١٦٦٣م، ونفضل أن نأتي بالنص الكامل لأبي سالم العياشي؛ وذلك لكون المصادر المشرقية لم تستوف الحديث عن الموضوع كما يجب الإستيفاء. يقول العياشي:

(لقد خرّب السيل غالب أسواق مكة وهدّ دوراً كثيرة، وأتلف أموالاً عظيمة، ومات فيه الناس، وهدم دور بعض أرباب الدولة على ما قالوا، ودخل المسجد الحرام، وكان أكثر دخوله من باب الصفا والأبواب الموالية له التي تلي دار الإمارة، وذلك أن السيل المنحدر من أعلى مكة لما قابل دار الإمارة لقيه سيل آخر مثله في العظمة نازل من الوادي الذي وراء جبل الحزْوَة، وخرج قريباً من دار الإمارة، فالتقى السيلان هنالك، وتصادفا وحصر كل منهما الآخر، فانكفأ الماء راجعاً، وقد غفل الناس عن إغلاق الأبواب فدخل المسجد حتى امتلأ كله، وارتفع الماء فيه الى أن ذهب بقناديل المطاف كلها، وما في المسجد من دواريق وبُسُط، وارتفع على قبة المقام، وعلى سطح زمزم الأدنى، وارتفع في البيت سبعة عشر شبراً على ما قال لي من شبر ذلك، وبلغ حلق الباب، وملأ كل البيت وخزانة المسجد، وكان ذلك كله على ما زعموا ساعة زمنية أو أقل).

(وأخبرني صاحبنا الحاج أحمد العجين الطرابلسي ـ وهو عندي ثقة ـ أنه كان في المقام بعد صلاة الظهر واخذ المصحف يقرأ؛ فقرأ عشرة أحزاب بعد صلاة الظهر، فتكلم الرعد، وأنزلت السماء عزاليها... وانهمر المطر كأفواه القرب، فما جاء وقت العصر حتى امتلأ المسجد ماء، ولا قلع المطر، ولم يقدر أحد على الوصول الى البيت بقية ذلك اليوم والليل كله، وفي الغد الى الضحى. ولم يهتد أحد من الناس لموضع البلاليع التي في المسجد المعدة لخروج الماء، حتى جاء السلطان زيد بنفسه ودلهم على أماكنها. فغاص الناس الى مجالها حتى فتحوها وخار الماء ونقص؛ وطاف بعض الناس بالبيت عوماً ممن يحسن السباحة، وكان ذلك أمراً مهولاً لم يعهد الناس مثله منذ أزمان).

(وقد أخبرني من شاهد السيل الذي وقع سنة تسع وثلاثين وألف (١٠٣٩هـ) أنه لم يبلغ ما بلغ هذا السيل؛ ولكن الله سلم في البيت لوثاقة البنيان وكونه قريب العهد. إلا أنه (أي السيل) زلزل الرخام الذي فرش به البيت من الداخل، وحرّكه حركة باينت بعضه من بعض، فلما غاض الماء بقي المسجد كله ممتلئاً تراباً وطيناً، ولم يمكن للناس الصلاة فيه ولا الطواف إلا بمشقة. أمر السلطان بإغلاق الحوانيت، واجتمع أهل مكة كلهم واجتهدوا في إخراج ما أمكن من التراب والأحجار والطين، وعمل فيه الناس كافة حتى السلطان بنفسه وأولاده وأقاربه).

يخبرنا العياشي أن (السلطان الخاقان الأعظم بعث في تلك السنة مائة ألف دينار ذهباً لتجديد ما يحتاج الى التجديد من معالم الحرمين. وكان المقدم لذلك نائب جدة. فصرفت جملة من ذلك المال في تنظيف المسجد والمسعى وما احتيج الى التنظيف من مشارب الماء التي ملأها السيل، وكان يخدم في المسجد كل يوم ما يقرب من مائة وخمسين رجلاً بالكراء. وأدركنا المسجد ـ يقول العياشي ـ لم ينظف منه إلا المطاف وأماكن قليلة حوله، حتى نظف المسجد كله، ودام العمل على ذلك الى انتهاء رمضان وأكثر شوال، وفعلوا مثل ذلك بما بين المروتين، وأخذوا بعد ذلك في تجديد الصباغات الرائقة والنقوش الرفيعة التي محق السيل اثرها في المقام وقبة زمزم وقباب مقامات الأئمة وغير ذلك على أرفع مما كان، وزيدت في المسجد أشياء عجيبة، وصبغت أعمدة الحديد الدائرة بالمطاف كلها بصبغ أحمر قان، مصقولة، ووضع على كل عمود هلال مذهب أبلغ تذهيب، وزيدت في مصابيح المسجد والمسعى ثلاثمائة مصباح)، الى آخر المعلومات الدقيقة التي أوردها العياشي والتي تسهم ـ كما هو معلوم ـ في التاريخ لهذا المسجد العظيم.

حرص العياشي على ذكر بعض المعالم التي أتلفها السيل، فذكر منها خزانة الكتب التي كانت بالمسجد وتعود الى شيخه أبي مهدي عيسى الثعالبي. وكانت المكتبة تحتوي على نحو ثمانين سفراً، فيها من نفائس الكتب وغرائبها التي لا تكاد توجد في غيرها، والتي كان منها ما هو ملك شيخه أبي مهدي عيسى سالف الذكر، ومنها ما هو من كتب الوقف.

ويلاحظ العياشي أن السيل المذكور بما صحبه من دمار كان من جهة أخرى سبباً في خصب كثير، حيث رخصت الأسعار، وغزرت المياه فوق العادة حتى زمزم قد زال ما فيها من الطغم وغزر ماؤها وارتفع حتى كاد يتناول باليد، وانكسرت صولة الحرّ في هذه السنة بمكة وبشعابها والمسجد وأفنيته لنداوة الأرض.

بعد هذا ينتقل العياشي الى الحديث عن اقتراب أيام موسم الحج، فيتحدث عن البيت الذي حصل عليه من لدن صاحبه القديم الشيخ محمد الغدامسي حول باب الصفا، أقام فيه الى أن خرج من مكة بعد أن كان يقيم في بيوت أخرى يذكر منها بيت الشيخ عبدالرحمن أخي الملا إبراهيم، وكان برباط السلطان قايتباي المشرف على الصفا، وهو رباط مليح واسع، فيه بيوت كثيرة جيدة جامعة لمرافق السكنى. ويعقد العياشي بعد هذا فصلاً خاصاً لشهود رمضان بمكة وما أدراك ما رمضان بمكة، مهملاً ما أورده ابن بطوطة حول الموضوع مما يؤكد أنه لم يقف على تلك (الرحلة). قال العياشي:

(ولما دخل رمضان شمّر الناس عن ساق الجد والإجتهاد في العبادة، ونصبت الأسواق طوال الليل ـ كما هو شأن أهل المشرق في ليالي رمضان ـ فلا تكاد ترى بالمسجد ليلا إلا طائفاً أو تالياً أو مصلياً. وأخذ الناس من أهل مكة والمجاورين في الإعتمار لا سيما ليلة الجمعة، فلا تكاد الطريق تنقطع طوال الليل من التنعيم الى مكة وركباناً ومشاة، رجالاً ونساء وصبياناً، وعبيداً وإماءً. واجتهد أهل الثروة من أهل مكة، فكان لكل واحد منهم مصابح كبير بين يديه، وخصفة (لُبدة) يجلس عليها كل ليلة، ويأتي بنفر يقرؤون عنده من القرآن أجزاءً على المناوبة الى أن تذهب حصة من الليل، ويسقيهم من الأشربة اللذيذة، ويطيبهم. فإذا كانت ليلة الختم احتفل بها أكثر، حتى

تكون ليلة العيد، فيعطي كل واحد من القراء كسوة ودراهم).

ويضيف العياشي، بأنه يُبالغ في ليلة الختم برمضان في تنظيف مقامات الأئمة الأربعة التي نجد لها في كل مقام إماماً يصلي بصلاته جماعة كبيرة من أهل مذهبه، ويؤتى بشموع كبار هائلة ترفع على حسَك عظيمة راقية. ويحضر الختم من في المسجد، ويخلع على الإمام بعد الفراغ خلعة من عند السلطان، ويُعطى فتوحاً زائداً على الخلعة، وأول من يختم الشافعية ليلة إحدى وعشرين، والمالكية ليلة خمس وعشرين، والحنفية ليلة سبع وعشرين. والعادة أنه كلما فتحت الكعبة يوماً للرجال، فُتحت في غده لدخول النساء، ولا يقرب ساحة البيت يوم دخول النساء أحد من الرجال، كفعل النساء يوم دخول الرجال.

وتابع العياشي: ولما كان يوم الأربعاء يوم الفطر، بكر الناس لأخذ مواضعهم للصلاة في المسجد، وخطب الإمام خطبة بليغة وأطالها، ولما وصل الى ذكر شريف مكة والدعاء له قام أحد أصحاب الأمير وخلع عليه الخلعة وهو يخطب. ويلاحظ العياشي أنه بعد عملية الخلع يتتابع الناس أفواجاً للخروج من غير أن ينتظروا فراغ الخطبة ولا كذلك دعاء الخطيب، لقد كان قصدهم فقط هو مشاهدة الخلع على الخطيب.

بعدها قصد العياشي شيخه المعروف أبا مهدي في منزله للتهنئة، وكذا لتلقي الحديث بالسماع في يوم الفطر، وهذا ما حققه؛ إذ نقرأ سنده بذلك في (الرحلة) قبل أن يعود الى بيته ليكتشف أن شيخه عبدالرحمن المكناسي المقيم بالطائف أوصى أصحابه بمكة أن يتفقدوا أبا سالم العياشي في يوم العيد بطعام فاخر.

بعد هذا يقوم العياشي بذكر الأماكن التي ينبغي أن تزار بمكة المعظمة ونواحيها في انتظار موسم الحج في تلك السنة. وهنا نراه يذكر غار جبل ثور الذي زاره في ٨ شوال، ووصفه على نحو ما وصفه سابقوه الذين كانون يجمعون على أنه الغار الذي اختفى فيه الرسول صلى الله عليه وسلم مع صاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ثم زار العياشي مدينة جدة لأنه كان يتوفر على رغبة قوية في معرفة أرض الحجاز ورؤية ما بها غير الحرمين الشريفين، على حد قوله، وهناك في جدة زار المكان الذي يحتضن قبر أمنا حواء على ما يقول الإخباريون (ابن خلكان مثلاً). وقد رحل اليها بعد عصر ١٣ شوال وكان يوم جمعة، وذلك على ظهر حمار من حمير الحجاز التي لم يرع أسرع ولا أوطأ مركباً منها، وهم يتغالبون في ثمن الحمير، فقد بلغ ثمنه مئة دينار ذهباً. ويضيف: ونحن في المغرب نضرب المثل بحمير جدة في السرعة وخفة الحركة.

والطريف أن العياشي يحدد المسافة الى جدة بعدد المقاهي المنتشرة على طول الطريق، فيقول أنها ثمان مقاهي. ويضيف عن جدة: (إنها تمتد على ساحل البحر الأحمر المزود بالمدافع... وفي مرساها سفن كثيرة مختلفة الأحجام، وغالبها معمول بالشريط (النباتي) من المسد، وليس فيها مسمار... وأسواق البلد ممتدة مع جانب البحر، وغالبها أخصاص واسعة، وقد اتخذوا في القهاوي اسرّة منسوجة بشريط المسد بطريقة محكمة). ويتحدث العياشي عن المسجد الكبير بجدة فيصفه بأنه من أجمل المساجد، وأن فيه أعمدة من السياج تخالها رخاماً أحمر، قيل: إنها جلبت من كنيسة بالحبشة عندما افتتحها المسلمون. وهناك في جدة تعرّف الى مفتي الشافعية الشيخ عبدالقادر، قال: (وليس عنده من العلم والرواية ما يرغب في أخذه). لكنه لقي مفتي الحنفية الشيخ مصطفى الذي كان على العكس من الأول، ذا مشاركة في العلوم. كما تحدث عن أديب من أدباء المدينة يعرف بالشيخ محمد مخبر. وقد أقام العياشي في جدة ثلاثة أيام ينتظر سفن مصر علها تحمل إليه أخبار بلاد المغرب، وعاد الى مكة بعد صلاة الظهر من يوم الثلاثاء ١٤ شوال ليصل مع أذان فجر اليوم التالي.

ولا ينس العياشي تتبع الحديث عن آثار السيل الذي قدم وصفاً له، وبخاصة ما يتصل بالبيت العتيق، وهنا يذكر أنه لما عاد من جدة وجد العمال قد شرعوا في تجديد السقف الأعلى للبيت، وذلك أن للبيت سقفين بينهما مقدار ذراعين ونصف أو ثلاثة، صيانة للبيت من وصول شيء من التغير بنزول ماء أو غيره، فإن احتاج أحد السقفين الى تبديل كان الآخر عوناً له.

ولقد ظهر بعد ذلك السيل شبه أثر قطران فكشف عن ذلك فوجد في بعض خشبات السقف الأعلى مأكل بسبب الأرضة (السوسة) لطول العهد، فاقتضى نظر الخاصة تجديد السقف كله، فشرعوا في ذلك يوم الإثنين الثالث عشر من شوال، على ما يذكره العياشي، بتفصيل دقيق بما في ذلك وصفه للآلات والسلالم التي ساعدت على وصول المواد الى السطح من جهة الحِجْر، وبما في ذلك جلب خشب الساج من جدة. ويحكي شاهد عيان أنهُ هو ذاته أسهم في عمليات سطح البيت العتيق بمساعدة الحاج سليمان، وهو من الصعيد المصري.

وقد كان من المزارات التي وصلها العياشي في مكة الجبل المشرف على المحصب يمين الذاهب من مكة الى منى. ومن المزارات غار حراء المشهور أمره، والذي نزلت فيه أول سورة من القرآن الكريم (اقرأ) وهو على ثلاثة أميال من مكة، وقد زاره العياشي في إحدى ليالي ذي القعدة. ومن المزارات الجعرانة وهو موضع بين مكة والطائف، وبين الجعرانة وبين مكة ثمانية عشر ميلاً، ومنها كانت عمرة النبي صلى الله عليه وسلم في ذي القعدة، وهي التي اعتمر العياشي فيها في حجته الأولى، مع أن أهل مكة في حينها كانوا يعتمرون من التنعيم. ومن مزارات مكة يذكر العياشي دار الأرقم، و (المودّع) حيث يذكر أن النبي صلى الله عليه وسلم ودّع منه أهل مكة لما أراد الخروج الى المدينة بعد حجة الوداع، وقريب منه رباط ينسب الى الشيخ الجيلاني. ومن المزارات جبل أبي قبيس، ومقابر الحجون، وقبة الشريف أبي طالب، غير غافل عن التعليق والتعقيب حول ما روي عنها.

ويذكر العياشي من المزارات التي زارها جوار مكة ما كان في مدينة الطائف التي تحتوي على الكثير منها، في صدرها ضريح عبدالله بن عباس ترجمان القرآن، وهو يوجد الى جانب المسجد الأعظم. قصد العياشي الطائف ليلة الثلاثاء ١٩ ذي القعدة واستغرب تغير أحوال الطقس عند الجبل ونزول درجة الحرارة حيث شعر بالبرد بعد أن كان يشكو أول النهار من شدة الحر. وقدّم العياشي الطائف على أنها قصور تحيط بها جنات من نخيل قليل وأعناب كثيرة وفواكه مما يشتهون؛ وتحدث عن المسجد الأعظم، وهناك على باب المسجد التقى استاذ المجودين الشيخ عبدالعزيز بن حسن بن عيسى التواتي، تلميذ الشيخ عبدالواحد بن عاشر، تعرف عليه بواسطة السيد عمر المدني وهو من متفقهة المدينة؛ وقد اغتنم العياشي تلك الفرصة فسمع من الشيخ التواتي المسلسل بسورة الصف، حيث سلم التواتي نص الإجازة للعياشي بضريح عبدالله بن عباس الملاصق للمسجد كما قال.

أيضاً لقي العياشي في الطائف السيد عبدالرحمن المكناسي الذي كان يسكن بأعلى البلد، وكان العياشي قد تعرّف عليه بمكة؛ وبتلك المناسبة حرر العياشي مذكرة له حول هذا اللقاء تحمل تاريخ عشية

الجمعة الثاني والعشرين من ذي القعدة سنة ١٠٧٣هـ/ ١٦٦٢م.

وبعد أن يعدد العياشي مزارات الطائف، يذكر أنه عاد الى مكة محرماً بعمرة من قرن الثعالب الذي هو ميقات أهل نجد، حيث وجد مكة قد غصّت بالوفود التي ترد اليها من كل فج عميق. وفي انتظار الحديث عن موسم الحج يذكر لنا بعض من لقيه من أهل مكة أيام المجاورة، وفي صدر هؤلاء مفتي الشافعية وإمام المقام وشيخه زين العابدين الطبري الحسيني، كما يذكر شيخه المعروف، الذي استفاد منه معظم علمه ومروياته، أبا محمد عيسى بن محمد الثعالبي الجعفري الذي أعطاه النصيب الأوفر من الحديث راوياً عن كتابه (كنز الرواة)، مبرراً ذلك التكرار بالرغبة في تكثير الفائدة. والى جانب هذا ذكر بعضاً ممن أخذوا عنه هو، كأبي علي حسن العجيمي المكي الحنفي، وكذا الفقيه قاضي المالكية بمكة الشيخ أحمد تاج الدين المالكي، إمام مقام المالكية.

بعد هذا يعود العياشي الى الكتب، فخصص فصلاً للحديث عما عثر عليه بمكة من كتب. ويذكر من ذلك (رحلة) الشيخ المحدث محمد بن رُشيد السبتي، رأى فيها عدة أجزاء بمكتبة شيخه ابي مهدي عيسى، وكانت في وقف المغاربة برباط الموفق وعليها خط ابن رُشيد وخط تلميذه عبدالمهيمن الحضرمي. ومما رآه بمكة كتاب (إتحاف الورى بأخبار ام القرى) للشيخ نجم الدين عمر ابن فهد، الذي يذكر أنه انتقى منه أشياء وضعها في كتاب رحلته.

ويعود العياشي الى الحديث عن مكة المكرمة عندما استهل شهر ذي الحجة. فقد تهيّأ أهل مكة للخروج، وخرج غالب أهلها حتى العوائق وذوات الخدور - على حد تعبيره - وبالغوا في انتقاء الفرش والمواكب المزينة ولذيذ الأطعمة كما هي عادتهم، وخرج غالبهم الى عرفات في اليوم السادس، ليقيموا بها السابع والثامن، وتكون لهم بها سوق عظيمة حافلة لا يرى مثلها. وأضاف العياشي بأن بعض الحجاج أحرموا أول الشهر، وغالب الأفاقين من قبل ذلك بقوا على إحرامهم لأنهم احرموا بالحج، وغالب الناس إنما يحرمون يوم خروجهم. أما العياشي فقد أحرم ليلة الجمعة السابع من الشهر قارناً، ونوى الإعتكاف في تلك الليلة ويومها، فجمع - كما يقول - بين حج واعتكاف وصوم. وأقام العياشي بمكة الى ضحى اليوم الثامن، حيث خرج منها مع اصحابه راجلين وجعلها حجة (صعلوكية) على حد تعبيره، من دون دواب، يحملون زادهم على ظهورهم، ووصلوا الى منى ظهراً، ونزلوا بمسجد الخيف مختلطين بالفقراء، وقضوا بالمسجد ليلة مباركة، فلما كان الغد خرجوا قرب بزوغ الشمس ذاهبين الى عرفات، ولم يصلوا الى نمرة حتى اشتدّ الحرّ، وهناك (وجدنا الماء كثيراً في أبواب المسجد. سبّله بعض أرباب الدولة، يبعث روايا حتى إذا فرغت بعث بغيرها، لا يمنع منها شارب ولا متطهر، الى أن صلى الناس وذهبوا الى الموقف، وكان شيخنا أبو مهدي نازلاً في رواق مظلل لبعض أصحابنا التونسيين).

وتابع: (ولما زالت الشمس وجمعنا الظهرين ذهبنا الى الموقف في حر شديد ما رايته طوال عمري، وبلغ مني الجهد غاية، وتذكرت حرّ القيامة؛ وكنتُ أنظر يميناً وشمالاً وتحملت أشد ما يكون من التعب ومعاناة الحر الشديد، لا سيما بعد أن دخلنا مزدحم الناس وانضغاطهم، وامتزاج حرارة أنفاس الحيوانات بحرارة الشمس، وثوران غبار الأقدام على الرؤوس حتى لا يكاد الإنسان يشك أنها نار لظى). كان ذلك يوم ١٥ يوليو ١٦٦٣م. ويضيف: (الى أن وصلنا الى موقف النبي صلى الله عليه وسلم، وما كنّا نعرفه قبل هذه السنة، وبعث معنا شيخنا أبو مهدي رجلاً دلنا عليه، وهو تحت موقف الإمام اليوم في أصل الجبل على صخرات مفترشة وبني على تلك الصخرات محوط شبه مسجد، فوقفت به ساعة فغلبت، ثم جلست الى أن فات وقت العصر وقضيت المعهود من الدعاء والإستغفار والتكبير والتهليل والصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم).

خرج العياشي عن مزدحم الناس وحاول أن يحصل على هدْي لأنه كان يتمتع بالحج والعمرة مقترنين، فلم يستطع وتأخر الى أن قام بذلك في مكة، ولم يزل بقية يومه يدعو ويكبر. ولما كن قرب الإصفرار نفرت محامل الأمراء والجند ذهب معهم حُطمة الناس، وتلك عادتهم لا ينتظرون الغروب في الموقف (وما نفرنا نحن إلا بعد الغروب وإقبال الليل. فلم نصل الى مزدلفة حتى قاسينا من التعب ما لا نزيد عليه، وجمعنا العشاءين، وصعدنا الى جبل قزح وبتنا عليه تنحيا عن مواطئ الأقدام؛ وبتنا حتى أصبحنا ووقفنا بالمشعر الحرام، ثم سرنا رويداً نجرّ الأقدام على الأرض جرّا، فما وصلنا مسجد الخيف حتى اشتدّ الحرّ وخفت أن أجلس للإستراحة فأغلب عن رمي جمرة العقبة، فذهبت على ما بي حتى رميت الجمرة فرجعت).

ويبدو أن العياشي أخذ ينهار مع توالي التعب في ذلك الحرّ الشديد (١٦ يوليو) حيث نجده يقول بلغة العصر الحاضر: إنه تعرّض لضربة شمس. لقد قال بإسلوبه الخاص: (رجعتُ من رمي العقبة، وبمجرد جلوسي ثار عليّ قيء وتدويخ، حتى كدتُ أن يُغشى عليّ، فبقيت طيلة يومين لا أنتفع بنفسي، ويئست من طواف الإفاضة في تلك الأيام، وحلقت رأسي، وأخّرتُ الإفاضة الى أن رجعنا من منى). ولما شعر العياشي ببعض الراحة خرج لزيارة بعض الأماكن التي تزار بمنى، فذكر المسجد أولاً لأنه منزل رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في القبة التي توجد وسط الصحن، والتي يصفها العياشي بأنها مثمنة الشكل. ثم زار (غار المرسلات) المذكور عند الرحالة الآخرين، ومسجد النحر، الذي دله عليه شيخه أبو مهدي، ومسجد العقبة، وقال أنه ذهب ومن معه فصلى الظهر والعصر والمغرب والعشاء بالمحصب، ودخل مكة بعد العشاء (حيث وجدنا المسجد الحرام غاصّاً بأهله لا تكاد تجد فيه مجلس رجل واحد) وقد أخّر العياشي الطواف والسعي الى آخر الليل عندما خفّ الزحام... ولما قضينا تفثنا وفرغنا من نسكنا أخذنا في الأهبة للرحيل، وعزمنا على الخروج مع القوافل التي تذهب الى المدينة قبل خروج الإركاب).

ولم يتردد العياشي في الحملة على المكاري الذي تعاقد معه قائلاً: (واكترينا من عند أناس من عرب الحجاز ليس لهم دين ولا مروءة، كلما عقدنا معهم عقداً حلّوه، ولكم أبرمنا أمراً نقضوه طلباً للزيادة في الكراء بعد شدّ الأحمال على الجمال). كان خروج العياشي من مكة ليلة الثلاثاء الثامن عشر من شهر ذي الحجة، وكان قد طاف طواف الوداع وقت العصر، ومر بمنزل شيخه أبي مهدي فودّعه، ورافقه صاحبه أبو علي حسن العجيمي الى ذي طوى عندما التحق هناك بالرواحل. وقد كانت لحظات الوداع جدّ مؤثرة كما يحكيها العياشي. والى جانب هذا يحكي أن الرفقة لم يكن بها أحد من أبناء جنسه، فضاقت عليه الأرض بما رحبت، لاسيما مع القلق الذي كان يعانيه من المكارين الذين قالوا له: إن أمتعتكم ثقيلة فإما أن تزيدوا في الكراء وإما نطرح لكم أمتعتكم أرضاً، حيث اضطر العياشي الى الزيادة، وهكذا أصبح ثمن الكراء من مكة الى المدينة أزيد مما اكترى الناس به من مكة الى مصر.

الإتحاد ضدكم، الوحدة عليكم

حول دعوة الملك عبدالله للوحدة الخليجية

إيمان القويفلي

في عام ٢٠٠٢م، خلال احتفالات البحرين بإعلانها مملكةً وبدء العمل بموجب ميثاق العمل الوطني؛ انتشرت رسالة نصيّة ساخرة تتنبأ بمستقبل الإمارات والممالك الخليجية لعام ٢١٠٢، إذ كانت الرسالة في جزء منها تشير ساخرة إلى ديمومة الشخوص على الكراسي رغم مرور قرن كامل، إذ إنها كانت تغمز في الوقت ذاته من قناة العشق الخليجي الطاغي للإعلان عن الإنجازات الأسطورية التي تعقبها الاحتفالات الوطنية على طريقة الأفراح والليالي الملاح، في حين أن الإنجاز ليس أكثر من عنوان يعتلي الفراغ الخاوي.

وكان سطر من الرسالة النصية يقول: "في الذكرى المائة لإعلان تحولها إلى مملكة: البحرين تعلن تحوّلها إلى إمبراطورية"!

مُصغية إلى فكرة تحول دول مجلس التعاون الخليجي إلى "الاتحاد"، لم أستطع أن أسمع الفكرة إلا بوصفها سطرا ساخرا، كجزء من النكتة القديمة: "في الذكرى الثلاثين لإعلان مجلس التعاون، دول الخليج تعلن تحولها إلى اتحاد"!

وعلى الرغم من أن الجوقة الحكومية انتشرت تهلل لدعوة الوحدة الخليجية على كل المنابر، بدءًا من منبر الحرم المكي وحتى تويتر، في محاولة لا تهدف إلى الدعاية للفكرة أو الإقناع بها، فهذا أمر مستحيل، ولكن على الأقل في محاولة لإضفاء شيء من الجدية على الفكرة المثيرة للسخرية التي لم تُثر حتى نقاشًا خليجيًا حقيقيًا، بوصفها مشروعًا للتكامل الاقتصادي والتنموي، والسبب واضح ويعرفه الجميع –وترفض الاعتراف به القيادات الخليجية– وهو فشل دول مجلس التعاون الخليجي في متابعة اتفاقيات وقرارات أصغر وأبسط وأقل طموحًا بكثير من قرار الوحدة الأسطوري علاوة على إنجازها.

وبمراجعة سريعة لقائمة بعض القرارات الخليجية خلال العقد الماضي ومصيرها تكفي للبرهنة على ذلك. قرار الاتحاد الجمركي الذي اتّخذ في ٢٠٠١م على أن يدخل حيّز التنفيذ في ٢٠٠٣م، لكن الفترة الانتقالية مُددت إلى ٢٠٠٤م، ثم إلى ٢٠٠٧م، وآخر إعلانات الأمين العام للمجلس يقول بتمديد الفترة الانتقالية إلى ٢٠١٥م. العُملة الخليجية الموحدة كان "قادة دول مجلس التعاون" قد اتخذوا قرار التعامل بها في عام ٢٠١٢م –الذي يبدأ بعد غد!– لكن تصريحات مسؤولي الجامعة بعد القمة الأخيرة قالت بتأجيل المشروع "إلى أجلٍ غير مُسمى".

أما المشروع الخليجي العظيم ذو الأبعاد السريالية الداعي إلى تحول دول مجلس التعاون إلى تجمّع للممالك والإمارات العربية من خلال قرار ضمّ الأردن والمغرب إلى المجلس أوائل هذا العام، فقد اعتلت سُحنة بيان القمة الخليجية الأخيرة حُمرة الخجل بعد أن "... أتت الفكْرَة"، وحاول أن يلملم آثار الإعلان –الفضيحة– بتحويل المشروع إلى دعم ملياري للأردن والمغرب بهدف التعاون وصولا إلى الشراكة المنشودة، دون إشارة أو ذكر لموضوع "الانضمام".

الحقيقة أنه من الطريف أن يهلل أحد لمشروع الوحدة الخليجية الذي أعلن في القمة الخليجية ذاتها التي شهدت فصلًا جديدًا من تأجيل قضايا الاتحاد الجمركي، والعملة الموحدة، وانضمام الأردن والمغرب. لهذه الأسباب –وهناك الكثير منها ومثلها– لا يمكن حمل مشاريع مجلس التعاون الخليجي بجدية تزيد عن الجدية التي تُشاهد بها العوالم الخيالية المدهشة في إعلانات شركة "زين" للاتصالات، أو عوالم "شارع السمسم" التي لا علاقة لها بغبار الشارع الخليجي الحقيقي.

لكن، هناك أمرٌ واحد فيما يخصّ مجلس التعاون الخليجي وقضية الوحدة يجب حملهُ بجدّية بالغة، ألا وهو البُعد الأمني، وليس البُعد الأمني الخارجي في مواجهة دول وتكتلات أخرى، بل البُعد الأمني الداخلي في مواجهة المواطنين وضدّهم. فإعلان الوحدة لم يكن مواربًا أبدًا في هذه النقطة، على العكس، أكّدت الخطابات والتصريحات على الهدف الأمني للوحدة، إلى جوار الأهداف الاقتصادية والتنموية.

وإذا كانت الوقائع كفيلة بإسقاط أيّ جدية عن الأهداف الاقتصادية كما ورد أعلاه؛ فإن الوقائع أيضا كفيلة بتحديد طبيعة الهدف الأمني المنشود من الوحدة الخليجية، وليس من قبيل الصدفة أن تأتي فكرة الوحدة الخليجية لأسباب أمنية في هذا العام بالذات، ٢٠١١م، فهو العام الذي شهد تغوّل الدولة البوليسية في جميع دول الخليج تقريبا، ففي الكويت لوحق المغردون واعتقل المتظاهرون، وفي البحرين قُمِعَ الحراك الشعبي ودخلت البلاد في مكارثية محليّة مُريعة، وفي السعودية اعتُقل نُشطاء حقوق الإنسان وأفراد من عائلات السجناء، والنساء والأطفال، وتوالدت الأنظمة التي تزيد من قيود التعبير والحركة. وفي الإمارات سُجن النشطاء وسُحبت من آخرين جنسياتهم الوطنية، وفي عُمان قُمعت المظاهرات التي تحركت أول العام، ولا يمكن عزو الهدوء على الجبهة القَطرية حتى الآن إلا لكون المواطنين القطريين لم يُلامسوا بعد سقف احتمال القيادة القطرية، السقف المنخفض الذي يظلل الخليج بأسره. وعبر الدويلات ككل تورمت الطائفية والعنصرية، وبثّت الأنظمة دعايتها التي تصوّر الإصلاح السياسي بوصفه مطلبا طائفيا أو عنصريا، وتوّج المشهد بتحوّل قوات درع الجزيرة التي يُفترض أنها قوات خليجية مُشتركة لحماية الخليج من الاعتداء الخارجي؛ إلى وسيلة رمزية للتأكيد على تضامن الأنظمة الخليجية الحاكمة ضد الحراك الشعبي الداخلي ومطالب الإصلاح السياسي.

الوقائع تؤكد أن مجلس التعاون جادٌ جدًا في أهدافه الأمنية، وأن القيادات حازمة وعَمَلية وديناميكية عندما يتعلق الأمر بالموضوع الأمني، لكن أمن مَنْ؟ الأمن من ماذا؟ الوقائع تقول: أمن الأنظمة. الأمن من التغيير السياسي. الاتحاد الأميري والملكي ضد ما هو شعبي. الاتحاد ضدّكم، الوحدة عليكم.

لا يمكن والحال هذه الحديث عن الوجه الجميل للوحدة الخليجية والضرورات الاستراتيجية الداعية لها، فهو حديث –كقرار الوحدة ذاته– لا علاقة له بالواقع، أو على الأقل بالمواقف العملية للأنظمة الخليجية. التهليل للوحدة عندما لا يكون جزءًا من البروباغاندا الخليجية الحكومية؛ فهو ليس أكثر من حديث رومانسي مثل كثير من الرومانسيات الخليجية السياسية التي تخفي في طيها حمولات مؤذية من المشاريع الفاشلة، والتضاد البيني، والتغوّل البوليسي.

إنها رومانسية لا يمكن التسامح معها بعد، أو أخذها بغير المبالاة، أو الأسباب التخفيفية.

ويمكن القول، أن اتخاذ موقف ضد الوحدة الخليجية اليوم، هو موقف في جوهره، ضد القمع الأمني.

عن موقع (المقال)، ٢٠١١/١٢/٣٠

السلفية التقليدية.. أيديولوجيا كراهية الآخرين

محمد بن علي المحمود

لو سألت أو تساءلت: ما هي السمة الأبرز التي تشكل هوية التقليدية على اختلاف أطيافها وتنوع اهتماماتها؛ لكان الجواب الأقرب إلى أذهان جميع العارفين بها، وكل المتماسين معها إيجابا أو سلبا: هي كراهية الآخرين، كل الآخرين، كراهية كل آخر من حيث هو آخر مختلف، بنسبة تطرد مع درجة الاختلاف؛ لتكون الكراهية هنا هي جوهر الرؤية، والغرض المباشر للسلوك؛ لأن الوصول إلى مستوى التمثّل الأكمل للكراهية يعني في تصور التقليدية الوصول إلى كمال الإيمان!.

لا توجد ديانة، ولا طائفة، ولا فرقة، ولا مذهب، بل ولا أية إيديولوجيا مدنية، تؤسس لرؤيتها، أو لفلسفتها من منطلق اعتقاد كراهية الآخر، كما تفعل التقليدية الاتباعية التي كانت ولا تزال تشحن أتباعها البؤساء بالكراهية بوصفها (= الكراهية) حقيقة الإيمان، وجوهر صفاء التوحيد.

قد توجد الكراهية أو العنصرية في ديانة ما، أو في مذهب ما، أو في طائفة ما...إلخ، ولكن سدنتها، أو القائمين على وضع مبادئها، وتفسير أصولها النظرية، قد يُراوغون، وقد يُداهنون خجلا من الاعتراف بذلك، فضلا عن قيامهم بتأويله وتبريره بما يخفف من حدة وقعه على المتلقي. إنهم لا يفكرون ولو للحظة واحدة في وضع الكراهية مبدأ أصيلا من مبادئهم، فضلا عن أن تكون أصلا أصيلا من الأصول الاعتقادية، كم هو حال التقليديين الذين مات الحياء فيهم، كما دفنوا البقية الباقية من الضمير بمثل هذا التنظير الذي يؤسس صراحة لكراهية جميع المخالفين أو المختلفين.

التقليدية لا تحتضن الكراهية كرؤية متعالية، أو حتى كسلوك مشروط ومحدود بظروف التكوين أو التكيف فحسب؛ كما هي حال بعض الإيديولوجيات العنصرية، وإنما تزيد على ذلك بأن تجعله مشروعها في الواقع، المشروع الحي / الواقعي / العملي العقائدي؛ لأنها لا ترى الأعمال نتائج مُضمرات عقائدية محكومة بالمنطق السببي المباشر واللامباشر، بل ترى الأعمال بذاتها كما في تصورها الخاص فعل اعتقاد وتصديق.

إذن، لا تكتفي التقليدية بأن تطالب أتابعها بالكراهية العامة لكل المختلفين معها على مستوى الاعتقاد المضمر، بل لا بد أن تكون هذه الكراهية ممارسة على مستوى السلوك العيني المباشر؛ بوصفه ممارسة عقائدية تمس أصل الاعتقاد، بحيث لا يجوز فيها الاجتهاد، كما لا يجوز فيها التجوّز، أو التعذر، أو التدرج، أو التخفي، أو التخفف في التطبيق.

المنطق الديني لهؤلاء المنتمين للتقليدية يقول صراحة وبوضوح: بقدر ما تضمر من الكراهية، وبقدر ما تعتقدها إيمانا، وبقدر ما تمارسها في الواقع؛ يتحدد مستوى إيمانك، وإخلاصك لدينك، وقربك من الله!. يقولون لك صراحة: كلما كنت أشد كرها للآخرين، وأصدق في تزيل مقتضيات هذا الاعتقاد على الواقع؛ كلما كنت مؤمنا صادق الإيمان. وعلى هذا النحو تتحقق هوية المؤمن؛ في حدود تصور هؤلاء المغتبطين المسرورين بحجم كراهيتهم للناس.


محمد بن علي المحمود

لا تهتم التقليدية بالقواسم المشتركة التي تجمع بين بني الإنسان، ولو كانت هذه القواسم بالملايين. التقليدية لا تبحث عن محاور تدعيم التآلف الاجتماعي، بل على العكس، تسعى لمحوها وإلغائها، أو تغييبها عن مجال الرؤية؛ لأنها مشدودة على مستوى اللاشعور إلى إقامة هويتها العامة من خلال تضخيم مبدأ الكراهية بين الناس أجمعين.

طبعا، يحدث هذا المحو والإلغاء للقواسم الإنسانية المشتركة، بينما نقاط الاختلاف ولو كانت بعدد أصابع اليد الواحدة، يجري تضخيمها، والنفخ فيها، ورفعها إلى مستويات الرؤية الاعتقادية، ومن ثَمَّ إقامة مشاريع الكراهية عليها باسم الدين.

الناس في كل مكان يُحاولون اقتناص أية مناسبة للفرح العام، كالأعياد الدينية، والأيام القومية؛ من أجل استغلالها؛ لتدعيم روح التآخي والتراحم من جهة، وتحجيم مظاهر الكراهية والعداء من جهة أخرى.

حتى أولئك الذين اقتضت الظروف السياسية أو التاريخية أو الاقتصادية أن يكون بينهم شيء من الصراع أو ما يشبه الصراع، يحاولون التعالي عليه في هذه المناسبات، يحاولون تجاوز حالة الكراهية بوصفها حالة مرض استثنائي عارض، مستعينين بهذه المناسبة لتحقيق أكبر قدر من الاستشفاء، ومن تجاوز الاستثناء إلى الأصل الإنساني السليم.

لكن، ولأن التقليدية هي مذهب في الكراهية أصلا، نجدها لا تترك أية فرصة أو مناسبة، ولو كانت مناسبة فرح، إلا وتستغلها في التأكيد على ما يعزز مذهبها الاستثنائي في الكراهية. حتى أعياد الميلاد المجيدة التي يحتفل بها العالم من أقصاه إلى أقصاه دونما حرج أو تساؤل أو استفتاء، والتي تكاد أن تكون مناسبة عالمية يبتهج بها الجميع من شتى الأديان والثقافات، حاربوها (= التقليديون) بالتحريم والتجريم. والأدهى، والأعمق دلالة، أنهم حاربوها وجرّموها من مبدأ تحريم وتجريم إدخال السرور على قلوب المختلفين معنا في الدين!.

يريد منا التقليديون أن نكره كل الناس، وأن يكرهنا كل الناس؛ حتى نكون في تصورهم مؤمنين صادقين. يحاولون إقناعنا بأننا بتبني هذه الكراهية، واستغلال مناسبات الفرح والسرور لتأكيدها؛ نكون أوفياء لديننا، ومخلصين لمذهبنا. إنهم يُصدرون الفتاوى تلو الفتاوى التي تُحرِّم التهنئة بأعياد الميلاد، فضلا عن المشاركة فيها، بل ويُرهِبون بعصا التكفير كل من يتجرأ: فيشارك إخوانه المسيحيين فرحة الاحتفال بهذا العيد، هذا العيد الكبير الذي يجب أن يكون فرصة للتعبير عن انفتاحنا على الآخر، بدل أن يكون فرصة لتقديم شهادة واقعية على انغلاقنا على ذواتنا، وكراهيتنا للآخرين.

طبعا، لا نستغرب مثل هذه الفتاوى اللامعقولة من منظومة اللاعقل (= التقليدية)، لا نستغرب مثل هذه الفتاوى المعادية للإنسان من منظومة تهميش وإلغاء الإنسان. إنها فتاوى غير مستغربة في سياقها؛ لأنها تتسق منطقيا مع بُنية التصور التقليدي للوجود الإنساني، إذ نعلم أن هذه المنظومة التي تحرم وتجرم مشاركة الآخرين أفراحهم، هي ذاتها المنظومة التي تحرّم التبسم في وجه الآخر المختلف، بل وتطالب (كما في فتاوى بعض الهالكين من سدنتها) بأن نبصق في وجوه المختلفين معنا مذهبيا، رغم اتفاقنا معهم في أصل الدين!.

الغريب أن بعض من يحاول الانفتاح من أتباع التقليدية الاتباعية قام بما يتصوره إنجازا كبيرا في مسيرته الانفتاحية، فأباح مشاركة الآخرين مناسباتهم وأفراحهم بشرطين: أن تكون المناسبة غير دينية، أو انفصلت مؤخرا عن كونها دينية، وأن تكون بنيّة هداية هؤلاء الآخرين إلى الدين القويم.

لا يخفى أن هذا سلوك انتفاعي محض، سلوك مخادع بل ونفاقي، سلوك يجعل عاطفة الحب الإنسانية مشروطة بشرطي خفي مضمر من شأنه أن يُشوّه عاطفة المحبة، ويجعلها، وهي العاطفة الأسمى، مجرد وسيلة انتفاعية؛ حظها في الخداع والنفاق أكبر من حظها في الصدق والإخلاص.

نحن اليوم نريد غير ما تُريده التقليدية لنا. نحن نريد أن ننفتح على العالم كله، نريد أن نكون قابلين ومقبولين في آن، نريد أن نمنح الآخرين صادق وخالص محبتنا، كما نريد أن يمنحنا الاخرون صادق وخالص محبتهم. لا نريد أن نكون مكروهين ولا منبوذين في أي مكان ولا في أية مناسبة. وباختصار: نريد أن نكون بشرا أسوياء، لا كما يريدنا التقليديون أن نكون.

طبعا، هذا لا يتحقق إلا بأن نضمن أنفسنا أولا، بأن لا نكون كارهين ولا نابذين لغيرنا. أن نفصل ونقطع مع التقليدية؛ لأن التقليدية بكل أدبياتها التي تنضح بالكراهية، تريد منا أن نكون كارهين ومكروهين، نابذين ومنبوذين، ساخطين على كل العالم، ومحل سخط كل العالم. أي أن التقليدية تريد منا أن نقيم بيننا وبين العالم جدارا من نار، بدل كل جسور التواصل التي بنيناها أو نأمل في بنائها، تريد من ذلك؛ معتمدة في إقناعنا بهذه الروح الانفصالية العدائية على تراث موبوء مشحون بمقولات الاحتراب والصراع.

لهذا، ومن باب مراغمة التقليدية من جهة، وتحقيق التواصل مع كل أطياف العالم الإنساني من جهة أخرى، نتقدم بالتهنئة لكل الناس بهذا العام الميلادي الجديد، مشاركين لهم الفرحة بقلوبنا قبل عقولنا. نقول بملء أفواهنا لكل المنفتحين على الحب والإخاء الإنساني، من كل الأديان والمذاهب والطوائف: هنيئا لكم كل مناسبة فرح، هنيئا لكم هذا العام الجديد الذي نأمل أن يكون عام خير على الجميع. وفي المقابل نقول لأتباع التقليدية: هنيئا لكم اختياركم اللامعقول أن تكونوا كارهين ومكروهين.

عن جريدة الرياض، ٢٠١٢/١/٥

الإنتخابات والإصلاح السياسي: صناعة الفرقعة

بدر الإبراهيم

تتردد بين فترة وأخرى – وخاصة حين يتحدث أحد المسؤولين عن الإصلاح – إشاعات مفادها أن قراراً سيصدر قريباً بانتخاب نصف أعضاء مجلس الشورى السعودي، وطبعاً يترقب الناس ويبدؤون في مناقشة التوقعات، ولا يصدر القرار.غير أن الموضوع بحاجة إلى نقاش:هل نحن فعلاً أمام خطوة إصلاحية؟

انتخاب نصف أعضاء مجلس الشورى ليس خطوة متقدمة على مستوى المشاركة الشعبية في صناعة القرار كما قد يتصور البعض، فلا وزن أو تأثير للقرار الشعبي في ظل حالة "التعادل" القائمة بفعل تعيين نصف أعضاء المجلس، وبالتالي يمكن تعطيل أثر الانتخاب بكل بساطة إذا لم يتمكن الأعضاء المُنتخَبون من صناعة قرار المجلس، ولا يمكن إعطاء صبغة ديمقراطية أو إصلاحية لمجلس لا تنبثق إرادته من إرادة الشعب ولا يعبر عن القرار الشعبي بشكل كامل وواضح لا لبس فيه.

أيضاً لا قيمة لانتخابات نصف أعضاء مجلس الشورى إذا لم يتحول هذا المجلس إلى برلمان كامل الصلاحيات يستطيع أن يحاسب ويراقب عمل كل مسؤول وشخص في الدولة - كائناً من كان - ويمكنه سن قوانين وتشريعات ملزمة بعيداً عن التوصيات التي توضع لاحقاً في الأدراج. أي مجلس ينتخب نصف أعضائه أو كلهم ويفتقر إلى الصلاحيات يتحول إلى دعاية صورية تقدم كمادة لتحسين الصورة في الإعلام الأجنبي، لكنها – مثل المجالس البلدية المفتقرة إلى الصلاحيات – لا تقنع المواطن ولا تلبي مطلبه بالمشاركة الفاعلة والحقيقية.

ببساطة لا تُسَمّى خطوة ما "إصلاحية" ما لم ينتج عنها إصلاح، ومثل هذه الخطوات لا ينتج عنها غير المزيد من الفرقعة الإعلامية، فمن الممكن أن يتخيل أي مواطن ما سيحدث في حال صدور قرار انتخاب نصف أعضاء مجلس الشورى: ستقام الحفلات في الصحف الحكومية لتصف عظمة القرار، وسيتحدث من عارضوا فكرة الانتخاب ومجدوا سياسة "الباب المفتوح" عن الخطوة الجبارة وعن كونها تمثل الإصلاح الحقيقي، والأهم أن إشادات غربية ستمنح للقرار وتعتبره نموذجاً للتغيير، وهكذا تتحقق الفرقعة مقدمة نموذجاً جديداً من نماذجها.

تكررت هذه الفرقعة كثيراً، فقد عايش المواطنون نفس السيناريو عام ٢٠٠٥ حين تم إقرار انتخاب نصف أعضاء المجالس البلدية، ولوضوح الفرقعة وفشل التجربة وغياب "التطور التدريجي" الذي كان يُحكى عنه حصلت مقاطعة شاملة لانتخابات العام ٢٠١١. يمكن استعراض نموذجين إضافيين لفرقعة لا تقود إلى إصلاح: دخول المرأة مجلس الشورى والمجالس البلدية، والسماح بعمل مؤسسات المجتمع المدني.

تم تقديم دخول المرأة مجلس الشورى والمجالس البلدية على أنه تعزيز لمشاركة المرأة السياسية، لكن الحقيقة أنه لا مشاركة سياسية في هذه المجالس للرجل أو المرأة، فغياب الصلاحيات والأسس الديمقراطية للانتخاب والعمل في هذه المجالس تجعل دخول المرأة تجميلياً بحتاً، وهنا نعود لذات السيناريو: تحتفل الصحف وكتابها الحكوميين، ويلتقط الغرب إشارة إصلاحية فيشيد بها، ولا يتغير وضع المرأة التي تفتقر لحقوقها الأساسية الإنسانية في المجتمع ويتم تغييبها وتهميشها عبر مقايضات مع الشريك السلفي المتشدد، ولا يتغير وضع المشاركة السياسية وصناعة القرار في مجالس التوصيات والاستشارات.

أما مؤسسات المجتمع المدني فلم يتم إقرار تنظيم عملها المجمد منذ سنوات، لكن بعض الهيئات والجمعيات المهنية ظهرت على السطح في السنوات الأخيرة، وأعطت مؤشرات سلبية عن ما يمكن أن يكون عليه الحال عند السماح بعمل مؤسسات المجتمع المدني، فهيئة الصحفيين على سبيل المثال تمثل تغلغلاً للدولة عبر صحفييها في مؤسسة يفترض أن تكون مستقلة ومتمايزة عن الدولة، بل أن تمثل مصالح هذه الفئة من المجتمع في مواجهة الدولة، فمؤسسات المجتمع المدني تفرغ من مضمونها ما لم تكن ممثلة لمصالح الفئات الاجتماعية المختلفة عبر تمايزها عن الدولة، وأي خلل في هذه التركيبة المعروفة على مستوى العالم يعني أن الصورة والفرقعة تنتصر مجدداً على أي فكرة إصلاحية في إقامة هذه المؤسسات.

لا يمكن أن تقدم قرارات فوقية لا تراعي أهمية تفعيل المؤسسات عبر الخيار الشعبي إصلاحاً حقيقياً، وستبقى في دائرة الصور التجميلية والفرقعة الإعلامية، فلا يجتمع تفعيل عمل المؤسسات المستند إلى الخيار الشعبي مع تغول الدولة فيها ومناصفة الخيار الشعبي في قراراتها، ولا يمكن لأي عمل مدني أن يحقق المرجو منه ما دام مدجناً في إطار الدولة، وإذا تم إقرار تنظيم عمل المؤسسات المدنية بشكل يجعل السلطة العليا على هذه المؤسسات لما يسمى (الهيئة الوطنية للجمعيات والمؤسسات الأهلية) فذلك يعني أنه لا قيمة تذكر لهذه المؤسسات وأن وجودها مكمل لمؤسسات الدولة ولا يعبر عن قوى مدنية فاعلة تنحاز للمواطن وحقوقه.

وبالعودة إلى مسألة الانتخاب يمكن القول أنها بلا قيمة طالما هي لا تستند إلى أرضية صالحة تتمثل بحياة مدنية حقيقية وحياة سياسية مفتوحة وتعددية، فلا معنى للانتخاب في غياب حرية العمل والحركة والتعبير المدني، ولا يبدو أن إصلاحاً يمكن أن يتم ما لم يستند إلى فتح المجال أمام العمل الشعبي الحر من خلال المؤسسات والجمعيات والنقابات ووسائل الإعلام، فللانتخابات لوازمها أيضاً، وهي لا تعني أوراقاً توضع في الصندوق، بل حياة سياسية كاملة تعطي معنى للأوراق الموضوعة في الصناديق.

لا يجب أن تكون الانتخابات غاية في ذاتها، فهي في نهاية المطاف وسيلة لتمكين الناس من المساهمة الحقيقية لا الصورية في صنع القرار المتعلق بحاضرهم ومستقبلهم، وإذا لم يساهم المواطن في صنع القرار عبر صوته الانتخابي فإنه لا ينتخب.. بل يُصَوَّر بجانب الصندوق.

موقع المقال، ٢٠١٢/١/٣

وجوه حجازية

(١)

محمد مختار البتاوي

(١٢٧٨ - ١٣٤٩هـ)

محمد مختار بن عطارد البوغوري الجاوي الشهير بالبتاوي، ثم المكي، الشافعي، أبو الإسعاد. من أوائل علماء جاوة المجاورين بمكة المكرمة. ولد ببلدة بوقور عاصمة جاوة الغربية، ونشأ بها وحفظ القرآن الكريم، ومجموعة من المتون في الفقه والنحو، وغير ذلك. سافر الى بتاوا وجاور بها لدى الشيخ عبدالله بن عقيل بين يحي مفتي بتاوا، فقرأ وعرض عليه ما حفظه من المتون، وزاد على ذلك، فحفظ عنده مجموعة من المتون في النحو: الملحة وألفية ابن مالك والقطر، وفي الفقه الشافعي وغير ذلك من الشروح، وأجازه بجميع مروياته.

رحل الى الحجاز لأداء فريضة الحج، واستوطن مكة المكرمة مجاوراً واشتغل بها في الفقه على السيد أبي بكر بن محمد شطا وأخذ عنه، كما أخذ الحديث عن محمد سعيد بابصيل، وسمع على السيد حسين بن محمد الحبشي في الحديث، والشيخ محمد بن سليمان حسب الله المكي في التفسير والحديث والفقه، وأخذ عن العلماء الواردين الى مكة المكرمة كالسيد محمد بن عبدالكبير الكتاني، والسيد محمد بن جعفر الكتاني والشيخ مصطفى العفيفي، والسيد عبدالكريم الناجي الدربندي وغيرهم.

تصدر للتدريس بالمسجد الحرام وأقبل طلبة العلم على حلقته وتخرج على يديه الكثير منهم، وكانت دارة أيضاً معهداً لطلابه يقصدونها صباحاً ومساءً، وممن أخذ عنه الشيخ سليمان سمداني، والسيد محسن بن علي المساوي، وعبد الرحمن بن يوسف المدارسي، وعبدالستار الدهلوي، والسيد علوي بن عباس المالكي، ومحمد أحمد بن إدريس البوقوري وغيرهم، وقد خلفه بعد موته في التدريس بالمسجد الحرام الشيخ محمد أحمد البوقوري.

توفي رحمه الله بمكة المكرمة.

له: إتحاف السادة المحدّثين بمسلسلات الأربعين، وتقريب المقصد في العمل بالربع المجيب(١).

(٢)

منصور البتاوي

(١٢٩٥ - ١٣٨٧هـ)

منصور بن عبدالحميد بن محمد البتاوي الجاكرتاوي الشافعي. ولد بجاكرتا وحفظ القرآن الكريم، وقرأ النحو والصرف والفقه والفلك على والده وإخوته، ومحمد محبوب بن عبدالحميد البتاوي، ومحمد أحباب بن عبدالحميد البتاوي، ومحمد طبراني بن عبدالغني البتاوي، ومجتبى بن أحمد البتاوي.

قدم مكة المكرمة مع والدته لأداء فريضة الحج، وجاور بها رغبة في تحصيل العلوم الشرعية على علمائها. قرأ على الشيخ سعيد يماني، والشيخ مختار بن عطارد البوغري، والشيخ عمر باجنيد، والشيخ محيي الدين الجاوي، والشيخ محمد بن يوسف الخياط، وغيرهم كثير. عاد الى بلاده واشتغل بالتدريس في معهد والده الى جانب الدروس التي كان يلقيها لطلاب العلم في منزله، وقام أيضاً بالتدريس في جمعية الخير بجاكرتا، ثم أسس مدرسة نظامية ومعهداً خاصاً ورباطاً، واستقدم لهما المدرسين، وتخرج من عنده عدد كبير من المشتغلين بالتدريس وفي نشر العلم والدعوة في أندونيسيا. شارك في الجهاد ضد الإستعمار الهولندي مع العلامة هاشم أشعري، والحاج أحمد دحلان، والحاج ياسين منصور وغيرهم من كبار العلماء. واستمر في نشره للدعوة الإسلامية، وجهاده الإسلامي، الى أن توفي رحمه الله.

له: سليم النيرين؛ خلاصة الجداول؛ رسالة في صلاة الكسوف والخسوف؛ ميزان الإعتدال؛ وسيلة الطلاب؛ جداول الدوائر الفلكية؛ أربع رسائل في مسألة الهلال؛ الربع المجيب؛ مختصر اجتماع النيرين؛ التذكرة النافعة في عمل الصوم والفطر؛ جدول الفرائض؛ اللؤلؤ المنظوم في مباحث ستة علوم؛ إعراب الأجرومية النافع للمبتدئ؛ سلسلة السند؛ تصريف الأبواب لمتن البناء؛ جدول القبلة؛ جدول أوقات الصلاة؛ تطبيق عمل الإجتماع والخسوف والكسوف(٢).

(١) عمر عبدالجبار، سير وتراجم، ص ٢٤٥. ومحمود سعيد ابو سليمان، تشنيف الأسماع..، ص ٥٤٢. وعبدالله بن محمد غازي، نثر الدرر بتذييل نظم الدرر، ص ٥٧ (مصور). ومحمد ياسين الفاداني، قرة العين في أسانيد شيوخي من أعلام الحرمين، جـ٢، ص ٤٧٦.

(٢) محمود سعيد أبو سليمان، تشنيف الأسماع، ص ٥٥١.

لو لم يكن هناك بترول في السعودية!

مغردون سعوديون حاولوا التعبير عن مواقفهم السياسية والإجتماعية من خلال الإجابة على سؤال: ماذا سيكون حال السعودية لو لم يكن لديها بترول؟ جاء هذا على خلفية دراسة غربية تقول بأن السعودية وخلال اقل من عقدين لن تكون قادرة على تصدير النفط. الإجابات كانت ذات مغزى سياسي واجتماعي معارض. هذه بعض الأمثلة:

- لو ما في بترول، ما راح يكون فيه ١٤ آذار، ولا سعودي أوجيه، وراح تشوفون سعد الحريري حلاق أو كاشير في محل إكسسورات وماكياج.
- لو ما في بترول كان افتكّينا من آل سعود، وصار اسمهم (آل مردخان).
- لكان لدينا حكومة نظيفة منتخبة ورئيس جمهورية، لا ملك أمّي، وولي عهد دموي.
- لكان آل سعود يعيشون في دولة مجاورة على صدقات المحسنين.
- لو ما في بترول، لم تعرف أمريكا أين نقع على الخارطة.
- لكان اسم البلد، يبدأ بـ (..الجمهورية) وينتهي بـ (.. الديمقراطية).
- لكان آل الشيخ، رئيس الشورى، خرّاز نعال، واللحيدان خبّاز، والعبيكان راعي عطاره.
- لركبنا نحن النساء بدون اتهام لنا بالفساد، ولبعنا السدو ولا أحد قال لنا حرام، ولأكرمنا الضيف ولا أحد قال لنا خلوة.
- لو ما عندنا بترول كان للقبيلة كلام ثاني، وما راح يكون دورها مقصوراً على مهرجانات الإبل والشعر والعرضة.
- لا يسعنا إلا أن نقول إلا كما قال أبو متعب (الملك): قولوا الله يطول عمره! وكررها ثلاثاً! حتى قال: البترول!
- إحنا حاسين بوجوده علشان ما نتصور دولتنا بدونه؟ ماراح يفقد وجوده إلاّ من وُلد وفي فمه ملعقة من ذهب.
- لرأيتم الهيئة (هيئة الأمر بالمعروف) راكبين الخيول والحمير، وعليها استيكر الهيئة، يطاردون المعاكسين في سوق عكاظ، ويبحثون عن المتبرجات.
- حنا مع البترول، و ٧٠٪ ما عندهم سكن! بدونه يمكن أن نستقبل تبرعات من الصومال.
- من استفاد من البترول: الحرامية اللي يشفطون منه بالليل والنهار.
- لو ما عندنا بترول، ستفلس ميزانية لبنان والمغرب والأردن.
- وجوده وعدمه سيان. خيرنا لغيرنا مثل النخله العوجا لقاحها في حوض غيرها.
- كان ما راح ولا ريال لطوني وفادي وابو مازن وابو مصطفى. فهمتوها اعتقد.
- كان ما في ام رقيبة لمزايين الإبل، وسعر الناقة خمسة مليون ريال.
- بدون البترول، لكانت أميره الطويل [زوجة الوليد بن طلال] تحلب النياق وكلها قمل.
- ولكانت الجوهرة آل سعود تشتغل خطّابة في منفوحة، وعلى كل زواج تأخذ ٥ ريال.
- ولكانت منال الشريف [فتاة قادت سيارتها فاعتقلت وحوكمت وأهينت] بتسوق حصان، ولا أحد يقدر يقول لها شيء؛ أو يلقونها على ناقة وهي تقول: صرنا نسوق بحرية.
- كان ما قهرونا: الميزانية فايضة، ولاشفنا منها خير. بلا بترول كان ما صرنا مذلولين للغرب الله يأخذهم.
- لو ما عندنا بترول، كان عملنا ثورة لكرامتنا لانها خارية خارية.
- لو ما عندنا بترول كان تحررت فلسطين؛ ولكنا أخذنا فائض ميزانية لبنان!
- كان ما فيه (افا!!! ٧٣) [حساب عبدالعزيز بن الملك فهد في تويتر] ولا عيال عمّه. ولكان عزوز ما وصلت فلورزاته الألوف، ولكنا رأيناه يعرف الإملاء ويكتب بلغة مفهومه.
- لو ما كان عندنا بترول ما كان هناك سجن سياسي ولا مسجونين، ولا في تمييز بين المواطنين.
- لو ما في بترول: السعوديه راح تكون مقسّمة، يعني الشرقية دولة؛ ونجد دولة؛ والحجاز أيضاً. أما الجنوب راح يكون تابع لليمن.
- لو ما عندنا بترول، لما غرقت جدّة، لأنه يادوب الفلوس تكفي للشوارع، ولا أحد يسرق.
- بكل بساطة لو ما فيه بترول كان شفت آل سعود زي الشعب!! محد مستفيد منه الا هم وبس!! لا تلعبون على انفسكم؟
- بدون البترول كان خالد بن سلطان عريف في المساحة العسكرية؛ ومحمد بن نايف جندي مظلي في قوات الأمن الخاصة.
- كان الخيمة اللي ساكن فيها، أرضها مملوكة لمحمد بن فهد [أمير الشرقية: لص الأراضي].
- ولكان سعد البريك والقرني يفتحون محل عطارة، عاد لايقه عليهم الشغلة.
- ولكان المذيع الخاص بالملك عبدالله، سليمان العيسى يبيع مساويك عند وزارة الاعلام.
- ولكان جمس الهيئة (سيارات الجمس) مجرد حنتور، ويغنون (واركب الحنتور.. اتغطوا).
- ولكان جارنا الأمير الفلاني، يجينا ولدهم البثر، ويطق الباب الظهر ويقول: أمي مرسلتني تقول هات من جيراننا بصل لغدانا!
- وش دعوة الحين البترول مغرقنا فلوس؟ نص الشعب مطفّر سواء ببترول ولا بدون. البترول لابن سعود ولنا الفقر.
- لو ما فيه بترول، كان ما شفنا قرابة الـ ٤٠ ألف جندي أمريكي يحتلون الخليج!
- ولكان [الأمير]مشعل يسرق الغنم؛ وسلطان مقاضب المزارع يسرق المحصول.
- لو ما عندنا بترول ما كان هددتنا الأميرة جوهرة بقطع الكهرباء. ولا سمعنا تريقة العالم (عندهم بترول وينتظرون صدقة حافز، ولطمة ساهر).
- في وجود البترول اكتشفنا خادمات سعوديات في قطر. ولولاه سنعيش على خير الفيزا!
- ولكان المفتي فاتح صندقة للرقية الشرعية يترزق الله بتفّاله على الناس، ولكان ما فيه سلفية، لان اساس السلفية الفلوس.
- لو ماعندنا بترول، كان سوّينا ثورة، وتدخلت دول الخليج وطرحت مبادرة خليجية للتسوية.
- ولولاه لكان يخلون العساف [وزير المالية] وزيراً للأعلاف. ولرأيت كل الوزارء يتهاوشون ويبون هالمنصب.

الحجاز

هذا الحجاز تأمّلوا صفحاته   سِفرُ الوجودِ ومعهدُ الآثار







إتصل بنا

(شكراً قطر) يغضب السعوديين

صانعة الحروب تثأر لنفسها في حكومة السنيورة

من يرقب ملامح وجه وزير الخارجية السعودي الأمير سعود الفيصل وهو يستمع تحت قبة البرلمان اللبناني الى كلمات الشكر والثناء التي كانت تنهال على أمير قطر ورئيس وزرائها تلفته تلك الغصة المكتومه التي حاول الفيصل كبتها ولكنها تسربت الى ابتسامته الغائضة، فقد وجد نفسه في أجواء ليست مريحة خصوصاً وهو يستمع إلى رئيس مجلس النواب نبيه بري الذي تعمّد في إظهار فرحته الغامرة بنجاح الدور القطري وإطرائه المتكرر على الشيخ حمد، الذي حياه بحفاوة خاصة، بعد أن ختم حوار الدوحة بعبارة إطراء متميّزة (إذا كان أول الغيث قطرة، فكيف إذا كان قطر).



(الحجاز) انفردت بكشف قصة الإنقلاب في سوريا بتمويل سعودي

هل تقوّم السعودية سياستها الكارثية؟

في 15 أكتوبر 2006، نشرت (الحجاز) مقالاً تحت عنوان (السعودية تتبنى بشكل صريح مشروع إسقاط النظام السوري)، تناول طبيعة التحركات السعودية المريبة إزاء الحكومة السورية والتي بدأت بدعوة نائب الرئيس السوري السابق المنشق عبد الحليم خدام لزيارة الرياض، حيث التقى الملك وولي العهد الأمير سلطان، وكان لقاء قد جمع رفعت الأسد، شقيق الرئيس السوري السابق حافظ الأسد ونائب الرئيس الأسبق، مع خدام في الرياض لوضع خطة إطاحة نظام الرئيس السوري بشار الأسد. وهذه الأنباء، حسب الحجاز، (جاءت في سياق أنباء أخرى حول دعوة الولايات المتحدة لرفعت الاسد من أجل مناقشة مستقبل سورية ومصير نظام الحكم فيها!!).


من يتآمر على الآخر؟!

أربع إتفاقيات أمنية بين الرياض وواشنطن

السعودية.. قلعة إستراتيجية أميركية

بدأت تلميحات متقطعة تصدر عن الجانب السعودي بشأن إتفاقيات أمنية في أغسطس من العام الماضي، حين بدأ الحديث عن عمليات تطويرية لقوة امنية لحماية المنشآت النفطية في البلاد، قوامها ألف عنصر امني. وقال اللواء منصور التركي المتحدث الأمني بوزارة الداخلية لصحيفة (الشرق الأوسط) السعودية في 30 اغسطس 2007، بأن (هذه القوة الأمنية تأتي في إجراء يتناسب مع متطلبات المرحلة



حول اعتقال الناشط الحقوقي متروك الفالح

دعت منظمة العفو الدولية في بيان عاجل لها (2008/5/20) الى ضرورة إطلاق سراح الدكتور متروك الفالح من السجون السعودية. ففي 19 مايو 2008 قبض على الدكتور متروك الفالح، وهو أكاديمي وناشط سعودي في مجال حقوق الإنسان، ووضع بمعزل عن العالم الخارجي في مقر المباحث العامة، وأصبح عرضة لخطر التعذيب وغيره من ضروب إساءة المعاملة.

الطيب: الوطن ليس ملكاً لفئة

أثار اعتقال الإصلاحي الدكتور متروك الفالح ردود فعل غاضبة، خاصة وأن طريقة الإعتقال بدت وكأنها اختطاف، بلا مبررات قانونية وبدون توضيح الإتهامات وبدون التواصل مع محامين أو مع عائلته. وشمل التعاطف مع الفالح عدداً كبيراً من الناشطين الحقوقيين، ومن منظمات المجتمع المدني في داخل وخارج المملكة، كما شمل العشرات من المثقفين والسياسيين.



خالد العمير... (الداخليّة) مازالت في غيّها وهي العدو!

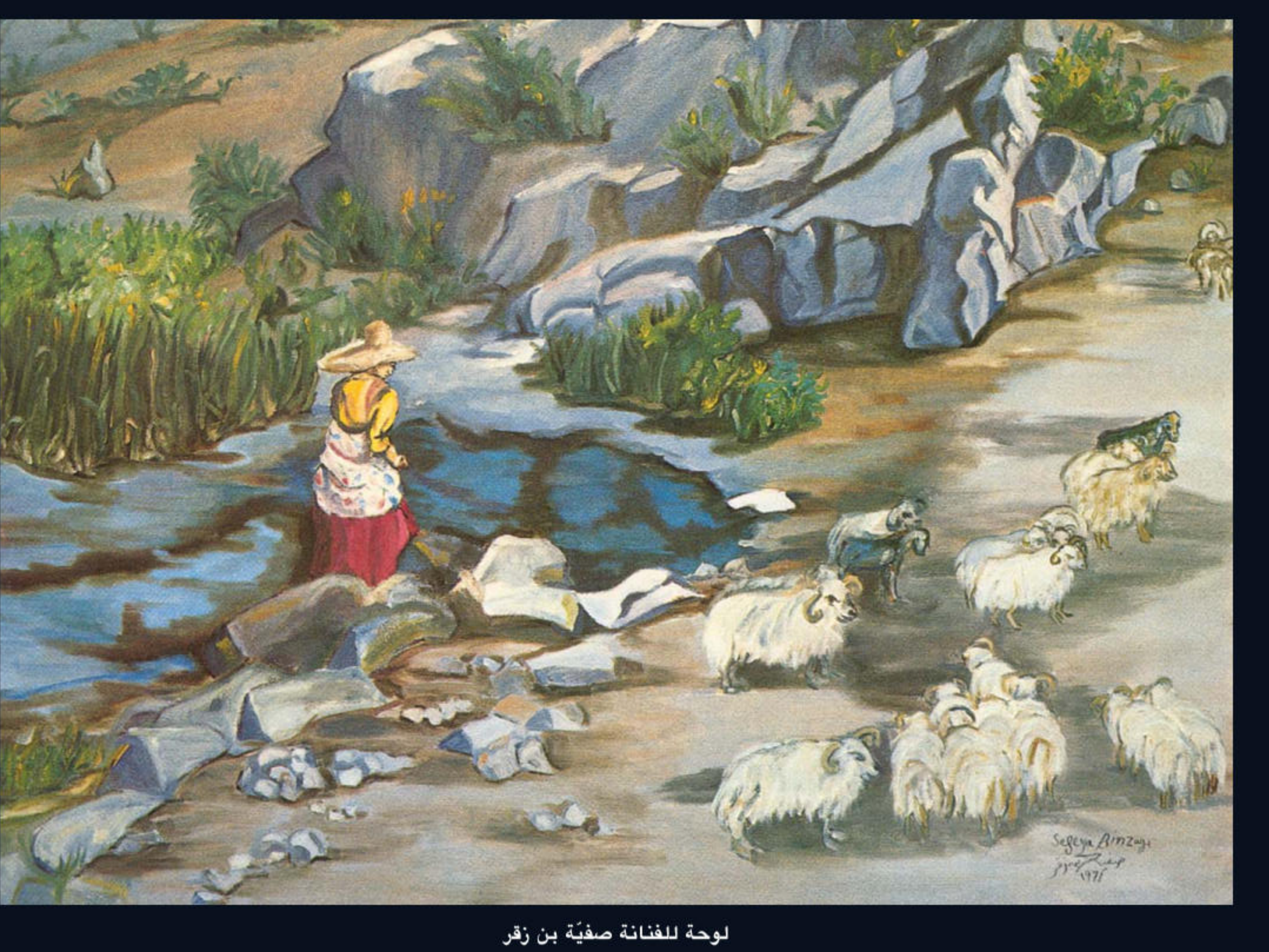
مرة أخرى اقتيد د/ متروك الفالح من وسط مكتبه في حرم الجامعة المصون الذي لم يعد له حرمة كغيرة من الأماكن في هذا الوطن. لقد اعتقل د/ متروك الفالح عام 2004 م في نفس المكان وكانت قوات المباحث تسحبه على الأرض سحباً في مشهد يدل على حقارة مرتكبيه. كان ذنبه الوحيد أنه أراد أن يرى هذا الوطن شامخا عزيز بين الأوطان، وطن يحكمه دستور يحفظ حقوق الإنسان ويفصل السلطات ليعرف المواطن مالذي له ومالذي عليه ولكن كان جزاؤه هو ورفاقه السجن.



وداعاً مكّة!

لم يتبق إلا القليل من مكة.. التراث والتاريخ والعبق الديني.

لقد امتحنها الله امتحانات شتى كان أشدّها سيطرة صنفين من البشر أتيا على روحها: جماعة بدوية قبلية جاهلة لا تفهم معنى



لوحة للفنانة صفيّة بن زقر